ملخص البحث:

تمثل لغة أصحاب الحرف نموذجا من العلاقة بين اللغة والمجتمع، فمن المعروف أن لكل مجال أو ميدان عمل أو نشاط حياتي مفرداته الخاصة، وأن من هذه المفردات ما لا يستعمله ولا يعرف مدلوله إلا أصحاب هذه الحرف وبعض من يقدر له الاتصال بهم في شئونهم، ولغة أصحاب الحرف تتجاوز وقت انشغالهم بإنجاز عملهم بحيث تصبح سمة دائمة في لغتهم، فتستطيع أن تلتقط من مفرداتهم وتعبيراتهم اللغوية من عموم كلامهم ما يدل على حرفتهم وصنعتهم، بل من كان منهم من الأدباء والشعراء لم يستطع أن يتخلص من بعض مفردات حرفته أو صنعته في أدبه وشعره فدلت مفرداته على مهنته، وبما أن هذا البحث يعتمد المنهج الوصفي التحليلي فكان لابد من تحديد بيئة البحث، ومن ثم فقد رصدت في هذا البحث أثر الحرفة في لغة شاعر من أشهر شعراء الحرف وهو ظافر الحداد.

ومن خلال البحث رصدت ثلاث مجموعات دلالية تتعلق بمهنته وردت في شعره، وهي:

الألفاظ المتعلقة بالنار وما يُحتاج إليه في إشعالها، وما يترتب على إشعالها.

الألفاظ المتعلقة بأدوات المهنة والعناصر المستخدمة فيها.

الألفاظ المتعلقة بمصنوعات المهنة.

وخلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

اللغة كاشفة عن صاحبها، وعن مهنته. وضرورة دراسة مشكلات الاتصال اللغوي التي قد تنجم عن وجود مفردات خاصة في لغة المتحدث ولا يفهمها المستمع. وأهمية دراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة. وأهمية دراسة العلائق بين اللغة والمجتمع. وأهمية صناعة المعاجم الخاصة بالمهن.

الكلمات المفتاحية:

علم اللغة الاجتماعي – اللغة والمهنة – لغة المهنة – ظافر الحداد – شعراء المهن – اللغة والمجتمع.

Summary

The language of the owners of the letter represents a model of the relationship between the language and society. It is known that each field or field of work or life activity has its own vocabulary, and that among these vocabulary is what is not used and its meaning is known only to the owners of these letters and some of those who are able to contact them in their affairs, and the language of the owners of the letter Letters exceed the time of their preoccupation with completing their work so that it becomes a permanent feature in their language, so you can pick up from their vocabulary and linguistic expressions from the generality of their words what indicates their craft and craftsmanship. Its vocabulary depends on his profession, and since this research depends on the descriptive analytical method, it was necessary to define the research environment, and then I monitored in this research the impact of the craft in the language of one of the most famous poets of the craft, which is Dhafer Al-Haddad.

Through the research, three indicative groups related to his profession were identified in his poetry, which are:

Words related to fire and what is needed to ignite it, and the consequences of igniting it.

Terms related to the tools of the profession and the elements used in them.

Vocabulary related to the profession.

The research concluded a set of results, the most important of which are:

The language is revealing about its owner, and his profession. And the need to study linguistic communication problems that may result from the presence of special vocabulary in the speaker's language that the listener does not understand. And the importance of studying linguistic reality in its various forms. And the importance of studying the relationships between language and society. And the importance of the dictionaries industry for professions.

تصدير:

الكلام الذي يستعمله كل صاحب حرفة أو مهنة "بما فيه من تركيبات خاصة واستعارات وتشبيهات وأمثال، بل بما فيه من طريقة نطق الكلمات ولو كانت من مفردات اللغة المشتركة دال على عمله وعلى طبقته الاجتماعية وإن اختلفت الدلالة نسبة باختلاف الأفراد والظروف والعصور".

د. محمود السعران: اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، ١٠٥.

مقدمة:

تمثل لغة أصحاب الحرف نموذجا من العلاقة بين اللغة والمجتمع، فمن المعروف أن لكل مجال أو ميدان عمل أو نشاط حياتي مفرداته الخاصة، وأن من هذه المفردات ما لا يستعمله ولا يعرف مدلوله إلا أصحاب هذه الحرف وبعض من يقدر له الاتصال بهم في شئونهم، ولغة أصحاب الحرف تتجاوز وقت انشغالهم بإنجاز عملهم بحيث تصبح سمة دائمة في لغتهم، فتستطيع أن تلتقط من مفرداتهم وتعبيراتهم اللغوية من عموم كلامهم ما يدل على حرفتهم وصنعتهم، بل من كان منهم من الأدباء والشعراء لم يستطع أن يتخلص من بعض مفردات حرفته أو صنعته في أدبه وشعره فدلت مفرداته على مهنته، وبما أن هذا البحث يعتمد المنهج الوصفي التحليلي فكان لابد من تحديد بيئة البحث، ومن ثم فقد رصدت في هذا البحث أثر الحرفة في لغة شاعر من أشهر شعراء الحرف وهو ظافر الحداد.

والشعر كان وما يزال صورة المجتمع في كل بيئة، ومرآة الحياة في كل عصر، وكل الأحداث في كل زمان، ذلك لأنه فيض الخاطر ونبع الشعور، ونبضة الحس، وخلجة النفس، وفورة الوجدان"[١].

وفي القرنين السادس والسابع الهجريين تحديدا ظهر كثير من الأسماء التي كان لها الفضل في رفع مكانة الشعر والأدب، وسجلت كتب الأدب ظاهرة غريبة في تلك الفترة تتمثل في ظهور فئة شعرية تميزت بخصوصية شديدة وهم شعراء الحرف والمهن، "حيث انطلقوا يحملون أوراقهم وأقلامهم إلى جانب مطارقهم وشواطيرهم ليشاركوا بكل ما تبقى من طاقاتهم

---

[١] ورنس سعود الرشيدي: شعر يوسف بن إسماعيل الشواء، دراسة موضوعية وفنية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١١م، ص ٦.

في بناء الصرح الفني لأمتهم وليتغنوا بما يعتمل في نفوس إخوانهم من الجماهير الكادحة من آمال وآلام" [٢].

ولقد أقام هؤلاء الشعراء الحرفيون بجدارة الدليل الواضح على أن الشعر كائن غير متعصب وأن الناس لديه سواء وأن الفن متسع للجميع، ومن هؤلاء الشعراء: ظافر الحداد، وأبو الحسين الجزار، ونصير الحمامي، وابن دانيال الوراق، والسراج الوراق، وغيرهم، وقد تميز هؤلاء الشعراء بانعكاس طبيعة الحرفة أو الصنعة على حركتهم الشعرية، كما كتبوا في الأغراض الشعرية كافة، ولم يتخلفوا عن ملاحقة حركة الشعر في عصرهم[٣].

ومما يلاحظ في شعر هؤلاء أثر المهنة في لغتهم من حيث المفردات ودلالة الكلمات، مما يؤكد على حقيقة أن المهنة تؤثر في لغة صاحبها، وتعد من أبرز العوامل الاجتماعية المؤثرة في اللغة كما قرر علماء علم اللغة الاجتماعي، فيذكر الدكتور عبد الواحد وافي أن أهم أنواع اللهجات الاجتماعية ما يسمونه بـــ (اللهجات الحرفية) التي يتكلم بها أصحاب الحرفة الواحدة[٤]، وقد ساق الجاحظ فصلا في كتابه البيان والتبيين يبين فيه أن أصحاب المهن يأخذون مادتهم اللفظية من مادة حرفتهم[٥]، فيقول: "باب أن يقول كل إنسان على قدر خلقه وطبعه"[٦].

ولا شك في أن المفردات الخاصة بالمهنة تتسلل إلى لغة الإنسان في حياته اليومية، وقد يردد بعض ألفاظ مهنته ترديدا آليا[٧]، كما تتسلل هذه الألفاظ إلى لغته العالية إن كان من أهل الأدب، وهذا ما نرصده في هذا البحث، وهو ذاته السؤال الذي نفرضه ونجيب عليه: إلى أي مدى أثرت المهنة في لغة صاحبها؟

ولقد اخترت من شعراء الحرف، ظافر الحداد، والحدادة حرفة شديدة، ذات أثر في شخصية صاحبها، ويكثر تعامل الجماهير مع صاحبها، ولحرفة الحدادة مفرداتها الخاصة، ومن هذه المفردات ما لا يستعمله ولا يعرف مدلوله إلا أصحاب هذه المهنة وبعض من يقدر له

---

[٢] عبد العليم القباني: مع الشعراء أصحاب الحرف، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص ٣.

[٣] انظر: تغريد نبيل عبد الغني: الشعراء الحرفيون في القرنين السادس والسابع الهجريين، دراسة في المضمون والتشكيل الفني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠٢٠م، ص ٢٠-٢١.

[٤] د. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة التاسعة، ص ١٩٣.

[٥] انظر: رياض بن صالح الذيب: الفكر اللساني الاجتماعي عند الجاحظ، إصدارات مركز حمد الجاسر الثقافي، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـــ/ ٢٠١٣م.

[٦] انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج٢/ ص ١٧٥

[٧] انظر: د. نوري جعفر: اللغة والفكر، نشر وتوزيع مكتبة التومي، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ص ١٣٦.

الاتصال بهم في شئونهم، وهذه المفردات تفرضها طبيعة المهنة من حيث أدوات الصنعة والعناصر المستخدمة فيها ومصنوعاتها.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث في كشف العلاقة الوثيقة بين اللغة والمجتمع متمثلة في أثر الحرفة في اللغة هذا الأثر الذي لا تستطيع الكتابة الأدبية –وهي أعلى صور الأداء اللغوي– أن تنفك عنه، ولتتأكد لنا الحقيقة اللغوية أن الكلام الذي يستعمله كل صاحب حرفة أو مهنة "بما فيه من تركيبات خاصة واستعارات وتشبيهات وأمثال، بل بما فيه من طريقة نطق الكلمات ولو كانت من مفردات اللغة المشتركة دال على عمله وعلى طبقته الاجتماعية وإن اختلفت الدلالة نسبة باختلاف الأفراد والظروف والعصور"(٨).

ولغة الأدب لها خصوصيتها، كما يقول الدكتور وافي: "كل فن من هذه الفنون يختلف عما عداه في طبيعته وأغراضه البيانية، ومناهج الاستدلال فيه، ومقدار صلته بكل من الناحيتين الوجدانية والإدراكية، ومدى إقبال الجمهور عليه، وأثره في نفسه وتلاؤمه مع اتجاهاته وحاجاته، ومبلغ نشاط المشتغلين به، وما يخترعونه فيه من اصطلاحات ويدخلونه من أساليب ويقتبسونه عن اللغات الأجنبية من مفردات"، وعلى الرغم من كل ذلك فإن ألفاظ المهنة تجد لها مكانا رحبا في اللغة الأدبية لصاحبها(٩).

ومن الذين أشاروا إلى هذا الجانب في دراساتهم الدكتور محمود السعران في كتابه "اللغة والمجتمع. رأي ومنهج"، والدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه "اللغة والمجتمع".

ومن الدراسات التي اهتمت بأثر المهنة في اللغة دراسة الدكتورة منى عبد الظاهر محمد سيد الشامي بعنوان "المستويات المهنية وأثرها في الاستعمالات اللغوية في ضوء علم اللغة الاجتماعي، دراسة تطبيقية على أشعار حافظ – ناجي – شوشة" (١٠).

ومن الذين قاموا بدراسة هذه الظاهرة على المستوى الأدبي الشاعر عبد العليم القباني في كتابه "مع الشعراء أصحاب الحرف" الصادر عن دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.

---

(٨) د. محمود السعران: اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، دار المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م، ١٠٥.

(٩) د. علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة للكتاب، والأولى للناشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٢٧.

(١٠) د. منى عبد الظاهر محمد سيد الشامي، المستويات المهنية وأثرها في الاستعمالات اللغوية في ضوء علم اللغة الاجتماعي، دراسة تطبيقية على أشعار حافظ– ناجي– شوشة، العدد الثاني والعشرون– ١٤٣٩هـ– ٢٠١٨م، جامعة الأزهر – حولية كلية اللغة العربية بجرجا.

ودراسة تغريد نبيل عبد الغني في رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة حلوان بعنوان: الشعراء الحرفيون في القرنين السادس والسابع الهجريين، دراسة في المضمون والتشكيل الفني، ٢٠٢٠م.

وقد قسمت البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث

تحدثت في التمهيد عن العلاقة بين اللغة والمجتمع، وعن المقصود بالحرفة والمهنة، وكما تحدثت عن الشاعر ظافر الحداد الذي سأتناول إنتاجه في البحث بالتحليل والدراسة.

المبحث الأول: الألفاظ المتعلقة بالنار وما يُحتاج إليه في إشعالها، وما يترتب على إشعالها.

المبحث الثاني: الألفاظ المتعلقة بأدوات المهنة والعناصر المستخدمة فيها.

المبحث الثالث: الألفاظ المتعلقة بمصنوعات المهنة.

التمهيد:

١- اللغة والمجتمع:

اللغة ظاهرة اجتماعية، وهذا هو سر العلاقة بين اللغة والمجتمع، ومن ثم العلاقة بين علم اللغة وعلم الاجتماع، فـ "اللغة نشاط اجتماعي، من حيث إنها استجابة ضرورية لحاجة الناس إليها في الاتصال فيما بينهم، ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية، وأصبحت بعض بحوثه تدرس في علم الاجتماع، فنشأ لذلك فرع منه يسمى "علم الاجتماع اللغوي" يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة[١١].

ولذلك عرف هدسون علم اللغة الاجتماعي بأنه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع[١٢].

وعرفه الدكتور كمال بشر بأنه "ذلك العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع، فينظم كل جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية"[١٣].

ولا شك في أن اللغة تتأثر بما يحيط بها من عوامل اجتماعية متعددة وتصطبغ بصبغاتها المختلف، ومن هذه العوامل وأهمها وأكثرها التصاقا بالنفس البشرية المهنة التي يعمل بها كل فرد، فصاحب المهنة يتأثر بها في شتى جوانب حياته وخاصة اللغة، فهو يستخدم من الألفاظ والتراكيب ما يعبر في المقام الأول عن ثقافته المستمدة من مهنته[١٤].

واللغة المستعملة في الجوانب المختلفة والمستويات المختلفة للحياة الاقتصادية تقدم للباحث اللغوي مادة خصبة يؤدي تحليلها إلى نتائج طيبة، ودراسة حيل البائعين والمشترين والوسطاء وألوان مغالطتهم وخداعهم وأفانين غشهم كما تبدو في تعبيراتهم اللغوية موضوع له أهميته، ولغة كل من الحياتين الزراعية والصناعية تمثل ألوانا من العلاقات بين اللغة والمجتمع بعضها يتمثل في استعمال اللغة في غير هذين المجالين وبعضها يتضح فيهما أجلى مما يتضح في سواهما. ولكل من الزراع والصناع والتجار رموزهم الكلامية الخاصة بهم التي ينحصر فهم مدلولاتها فيهم وفيمن يتصل بهم[١٥].

---

[١١] د. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٢٥.

[١٢] هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمد عياد، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، ص ١٢.

[١٣] د. كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي (مدخل)، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٤١.

[١٤] انظر: د. منى عبد الظاهر محمد سيد الشامي، المستويات المهنية وأثرها في الاستعمالات اللغوية في ضوء علم اللغة الاجتماعي، دراسة تطبيقية على أشعار حافظ- ناجي- شوشة، ص ٣١٢٩.

[١٥] انظر: د. محمود السعران: اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، ص ٩٩-١٠٦.

إن فكرة الكلام وفكرة المجتمع لا يمكن الفصل بينهما. من هنا يرى اللغويون أن الوظيفة الأساسية للغة هي تحقيق الاتصال والترابط بين أفراد المجتمع الواحد وخلق المجتمع المتماسك، كما تربط اللغة الفرد بالمجتمع وتجعله كائناً اجتماعيا وتعطيه شعوراً بالأمان والانتماء الاجتماعي.

واللغة تمنح أعضاء المجتمع إحساساً قوياً بوجود المجتمع، وكلما ازداد الفرد توغلاً في عضويته للمجتمع اللغوي أدت اللغة دوراً متزايداً في حياته الاجتماعية وسلوكه وإحساسه وتفكيره الشخصي.

واللغة ليست مجرد ظاهرة اجتماعية، بل هي أساس المجتمع، وهي أكثر طرق الاتصال الإنساني استعمالاً، وترتبط بكل قطاعات حياتنا الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية ولذلك لا يوجد مجتمع بدون لغة، ولا تبرز خصائص المجتمع إلا من خلال اللغة، ولا نستطيع أن نشخص مجتمعاً من المجتمعات إلا عن طريق اللغة، فهي السبيل الوحيد إلى استكشاف ضمير الأمة التي تتكلمها.. وهي التي توحد مشاعر الأمة الناطقة بها وتجعل من المجتمع بنية واحدة تخضع لقوانين مشتركة.

واللغة تتأثر بما "تزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف، والآثار العميقة التي تتركها كل وظيفة أو مهنة في عقلية المشتغلين بها، وحاجة أفراد كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم، وما يلجئون إليه من استخدام مفردات في غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم"[١٦].

٢- المقصود بالحرفة، والمهنة:

الحِرْفة (بكسر الحاء وسكون الراء): جمعُها حِرَف، وهي وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها، والحِرْفي (بكسر الحاء وسكون الراء)، هو الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة ومنتظمة[١٧].

أما المِهْنة (بكسر الميم وسكون الهاء): فهي من الفعل (مهن) الرجل مَهْنا ومَهْنة ومِهْنة: عمل فِي صَنعته، و(امتهن) اتخذ مهنة، و(المِهنة): الْعَمَل، و(المِهنة): اَلْعَمَل يحْتَاج إِلَى خبْرَة

---

[١٦] د. علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، ص ١٢٩.

[١٧] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة حرف.

ومهارة وحذق بممارسته. ويُقَال مَا مهنتك هَهُنَا: عَمَلك. وَهُوَ فِي مهنة أَهله: فِي خدمتهم وَخرج فِي ثِيَاب مهنته: فِي ثِيَاب يلبسهَا فِي أشغاله وتصرفاته[١٨].

ومجمل ما تقدم يمكن القول: إن الحرف والمهن هي: مجموعة من النشاطات البدنية والذهنية التي يمارسها الإنسان، والتي يتكسَّب بها من خلال أقواله وأفعاله..

٣-ظافر الحداد (...- ٥٢٨هـ):

هو ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله ينتمي إلى جرى من بني جُذام اليمنية، وُلد غالباً في أوائل النصف الثاني من القرن الخامس كما رجح ذلك الدكتور حسين نصار[١٩]، وهو من أسرة عربية يمنية كادحة سكنت الإسكندرية، فأبوه القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني من "بنى جَرِىّ" وهي بطن من بطون (جُذام)، وأمه من (فَهْم) وهي إحدى قبائل (لَخْم)، وكانت أسرة ظافر تمتهن الحدادة، وربما كان ذلك راجعًا لأصلها اليمني "فاليمن عرفت في تاريخها القديم باصطناع الحدادة، وخاصة صناعة السيوف وأدوات الحرب"[٢٠].

وورث ظافر مهنة الحدادة عن أبيه، ولكنه مال إلى الأدب، وحفظ الشعر، وعشق اللغة إلى جانب هذه الحرفة، فأرسله والده في صباه إلى الكُتاب "وأكب الصبي على حفظ الشعر وكانت له ملكة خصبة، سوت منه شاعراً.

ولعل شيئا من العجب يداخلنا إذ نجد بين شعراء الثغر شاعراً حداداً "[٢١]، حيث تفتحت مواهب ظافر مبكراً، وبات شغوفًا بالأدب "مما جعل ظافر بن القاسم يتتبع أخبار الأدباء، ويتحرى مجالسهم ويختلط بهم. فيتبسط معه بعضهم، ويستمع له، وينقده مقوماً، ويصده بعضهم نافرا أن يجتمع الشعر والحدادة في رجل وآبيا أن يضم الشاعر والحداد مجلس"[٢٢].

وقد كان حب الشعر يمتلك على ظافر حواسه جميعًا، وكان ظافر كما قال عنه صاحب الخريدة "بعيد الهمة، طموح النفس"[٢٣] حيث يقول كاشفاً عن ذلك:

---

[١٨] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة مهن.

[١٩] ديوان ظافر الحداد، تحقيق د/ حسين نصار، مكتبة مصر، ١٩٦٩م.

[٢٠] د. طه الحاجري، ظافر الحداد، مقال نشرته مجلة (أمواج سكندرية)، العدد الأول، ١٩٧٦م، ص١٨.

[٢١] د. شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات (مصر)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ص٢٥١.

[٢٢] د. حسين نصار، ظافر الحداد شاعر من العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٦.

[٢٣] العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، نشر وتحقيق: أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج٢، ١٩٥١م، ص٤٥.

سـأتبع عزمي حيث أم، وأنتحي وجوه المنايا في ظهور المخاوف
عسى عزة تنجى من الذل، أو غنى من الفقر، أو ألقى الردى غير آسف[٢٤]

وتتسع دائرة ظافر المعرفية باتساع دوائر علاقاته، وبما يتحلى به شعره من دلائل الجود والتميز والحسن والبديع، فأخذت مجالس الإسكندرية تغض النظر عن صناعته، وتفسح له مكانا بين روادها، وتطلبه حين يغيب.

وقيل إن من أسباب شهرته بالمدينة ما أورده صاحب الخريدة من أن ابن ظفر والي الإسكندرية من قبل الخليفة الفاطمي تصادف أن ورم خصره وبه خاتم، فخشي عاقبة الأمر وطلب حداداً كي يكسر حلقته، فجاءوا له بظافر، فلما كسر الحلقة أنشده:

قصر عن أوصافك العالم واعترف النـاثر والنـاظم
من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسن ذلك منه ابن ظفر ووهبه الحلقة وكانت من ذهب، وبات يستدعيه إلى مجالسه وأسماره، وضاعفت هذه الحادثة من شهرته في المدينة بأسرها، وسرعان ما اتسعت دوائر علاقاته برجالات الإسكندرية وعلمائها وقضاتها مثل ابن أبي حديد قاضيها وله فيه مدائح طريفة[٢٥]، فقد استطاع بموهبته وبعبقريته، وسرعة استجابته لدواعي النظم، وأصول الفنون، أن يصبح محبوبا من الجميع مقربا إليهم.

وقد قدر معاصرو ظافر له شاعريته، وشهدوا له بالتفوق على شعراء عصره فالسلفي يقول عنه: "كان من مفلقي شعراء ديار مصر"[٢٦].

وكذلك أدرك معاصروه غلبة الطبع على شعره، فأبو حفص الذهبي يصفه بأنه "مطبوع قليل التصنع"[٢٧]، وأثنوا كذلك على اتجاهه الشعري الذي لا يذهب فيه مذهب اللهو والمجون ولذلك يقول عنه الفقيه أبو طاهر بن عوف "ظافر الحداد ما عرفنا له تجاوز قط"[٢٨]، ونرى

---

[٢٤] ظافر الحداد: ديوانه، ص٢٢٢.

[٢٥] انظر: د. شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات (مصر)، ص ٢٥٢.

[٢٦] الحافظ السلفي: معجم السفر، مخطوط في مجلدين في مكتبة محافظة الإسكندرية تحت رقم ٣٩٢٩ت وهو مصور عن دار الكتب، ص٩٩.

[٢٧] المصدر نفسه: ص١٨٣.

[٢٨] المصدر نفسه: ص٩٩.

العماد يصف شعر ظافر بقوله: "وشعره بوجه الرقة والسلاسة سافر"[٢٩]، وابن خلكان يقرأ ديوانه ويصفه بأن: "أكثره جيد"[٣٠]، ويرى الدكتور حسين نصار: " أن ظافرا لم يقع في خطأ نحوي بين ومجمع عليه بحيث يعتذر عن تخريجه"[٣١]، و"ما أتى بصيغ، واتبع قواعد غير التي رضي عنها البصريون أو المتشددون"[٣٢]، وتدل هذه الآراء على أن ظافر واحد من كبار شعراء مصر الفاطمية، وأكبر شاعر سكندري ظهر في هذه الحقبة.

---

[٢٩] العماد الأصفهاني الكاتب: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر، نشر: أحمد أمين، شوقي ضيف، إحسان عباس، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج٢، ص٣.

[٣٠] ابن خلكان "شمس الدين أحمد بن إبراهيم": وفيات الأعيان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبع النهضة المصرية، ١٩٤٨م، ج٢،ص٢١٩.

[٣١] د. حسين نصار: ظافر الحداد شاعر من العصر الفاطمي، ص٢٧٤.

[٣٢] المصدر نفسه، ص٢٧٥.

المبحث الأول: الألفاظ المتعلقة بالنار وما يُحتاج إليه في إشعالها، وما يترتب على إشعالها.

تمثل هذه المجموعة من الألفاظ حقلا دلاليا واحدا يتعلق بالنار التي تمثل عنصرا أساسيا في مهنة الحدادة، فهي التي يلين بها الحديد ويسهل تشكيله وتعديله وتطويعه للاستخدام، وقد يوصف الحداد بأداة نفخ النار التي تساعده في إشعال النار وهو (الكير) حيث إنه أكثر الناس استعمالا له، و(الكير) هو جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإشعالها(٣٣)، وفي الحديث: عن أَبي موسى الأَشعَرِيِّ – رضي الله عنه– أَن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّما مثَلُ الجلِيس الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المسْكِ، ونَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طيِّبَةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً (٣٤).

ولقد استخدم ظافر الحداد بعض الألفاظ المتعلقة بالنار، وما يُحتاج إليه في إشعالها، وما يترتب على إشعالها، وهذه الكلمات مرتبة على حروف المعجم بحسب أصلها، وهي: التنور – الجمرة (الجمر) – أحر – الحرق – الحطب – الدخان – الرماد – المسجور – الشرار – الفحم – القار – الكانون – اللهب (اللهيب – الملتهب– متلهب) – النفط – النار (قلل النار) – وقود (توقد – الموقد –الوقاد – مستوقد).

التنور:

وقد ذكر كلمة التنور في قوله:

في ليلة مسرفة الحرور كأرؤس الخرفان في التنور(٣٥)

والتَّنُّورُ: نَوعٌ من الكَوانِينِ، وَفِي الصّحاح: التَّنُّورُ: الكانُونُ الَّذِي يُخْبَزُ فِيهِ(٣٦). وإن كان الأغلب في استعماله أنه الكانون الذي يخبز فيه، إلا أنه من الممكن أن يطلق على موقد النار عند الحداد.

الجمرة (الجمر):

الجَمْرةُ، بِفَتْح فسكونٍ: (النارُ المُتَّقِدَةُ)، وإِذا بَرَدَ فَهُوَ فَحْمٌ، (ج جَمْرٌ) (٣٧). ووردت بصيغة المفرد في معنى مجازي ويصف بها الوجنات للدلالة على حمرتها، وذلك في قوله:

---

(٣٣) انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة كير .

(٣٤) رواه البخاري ومسلم.

(٣٥) ظافر، ديوانه، ص ١٣٦.

(٣٦) انظر: الرازي: مختار الصحاح، والزبيدي: تاج العروس، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة تنر.

(٣٧) انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة (فحم).

أو جمـــــــرة الوجنـــــــات لا ح شـــــقيقها فـــــي آس شـــــعر[٣٨]

ثم استخدمها أكثر من مرة في صيغة الجمع وذلك في قوله:

كأن جيوش الفحم من فـوق جمـره وقد جمعا فاستحسـن الضـد بالضـد[٣٩]

وقوله:

وللشـقائق جمـر فـي جوانبهـا بقيـة الفحـم لـم تسـتره باللهـب[٤٠]

وقوله:

يـذوب كمـا ذاب شـحم الكلـى إذا الجمـر قاربـه أو قـرب[٤١]

وقوله:

فلـم أر جمـرا قبلـه متلهبـا إذا لمسـته الكـف ألفتـه بـاردا [٤٢]

وقوله:

لـم تـر عينـي منظـرا مثلـه مـاء تلظـى فوقـه جمـر[٤٣]

وقوله:

وثقت به حتـى حـداني لحظـة من الـذنب فيهـا جمـر عينيـك لاذع[٤٤]

وقوله:

انظر إلـى مـا ضـمن الـــــ ـكـانون مـن فخـم وجمـر[٤٥]

أحرَّ: وقد وردت في قوله:

أحرهـا الوقـاد حتـى غـدا من أجلها للـروح مثـل الشـقيق[٤٦]

---

[٣٨] ظافر، ديوانه، ص ١٣٥.

[٣٩] ظافر، ديوانه، ص ٩١.

[٤٠] ظافر، ديوانه، ص ١٩.

[٤١] ظافر، ديوانه، ص ٩٥.

[٤٢] ظافر، ديوانه، ص ٩٦.

[٤٣] ظافر، ديوانه، ص ١٣٧.

[٤٤] ظافر، ديوانه، ص ١٩٨.

[٤٥] ظافر، ديوانه، ص ١٣٥.

[٤٦] ظافر، ديوانه، ص ٢٢٤.

وأحرَّ الشَّيْء جعله حارا[٤٧] وأراد بها هنا أن الوقاد زاد من إشعال النار حتى تزداد السخونة والحرارة.

يحرق (الحرق – إحراق – محرق):

الْحَرَقُ بِفَتْحَتَيْنِ النَّارُ وَهُوَ أَيْضًا احْتِرَاقٌ يُصِيبُ الثَّوْبَ أو أثر النار في الثوب، وَقَدْ يُسَكَّنُ، وَ(أَحْرَقَهُ) بِالنَّارِ وَ(حَرَّقَهُ) شُدِّدَ لِلْكَثْرَةِ، وَ(تَحَرَّقَ) الشَّيْءُ بِالنَّارِ وَ(احْتَرَقَ) وَالِاسْمُ (الْحُرْقَةُ) وَ (الْحَرِيقُ) [٤٨].

ووردت لفظة (الحرق) في قوله:

استخدم الفعل المضارع (يحرق) في قوله:

وبـــردت المســـرة كـــل قلـــب يحرق بالأسى حلـــل الشـــغاف[٤٩]

واستخدم المصدر (الحرق):

وما تبوح دمـــوعي للوشـــاة بـــه فيكم ويكتمه قلبي من الحـــرق[٥٠]

واستعمل المصدر (إحراق) من الفعل أحرق، وذلك في قوله:

إذا عزنـــي إطفاؤهـــا بمـــدامعي جرت ولها بين جفني إحـــراق[٥١]

وقوله:

وقد أنضجت جسمي لهم نار حرها ولكنه نضج تنـــاهي لإحـــراق[٥٢]

واستعمل اسم المفعول (مُحْرَق) في قوله:

كأنـــه صـــدر فضـــة قصـــرت حافته وهـــو مـــذهب مُحـــرَق[٥٣]

الحطب:

وهو مَا أُعِدَّ من الشَّجَرِ شَبُوباً للنَّارِ، وكل مَا جف من زرع وَشَجر توقد بِهِ النَّار[٥٤]، والحطب من المواد المهمة للحداد، وقد وردت كلمة (الحطب) في قوله:

---

[٤٧] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة حرر.

[٤٨] انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة حرق، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة حرق.

[٤٩] ظافر، ديوانه، ص ٢١٨.

[٥٠] ظافر، ديوانه، ص ٢٣٧.

[٥١] ظافر، ديوانه، ص ٢٢٧.

[٥٢] ظافر، ديوانه، ص ٢٣٧.

[٥٣] ظافر، ديوانه، ص ٢٣٠.

[٥٤] انظر: الزبيدي: تاج العروس: مادة حطب، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة حطب.

فالنفس تزداد فقرا بـــالغنى أبـــدا كمطفئ النار عند الـــوهج بالحطـــب[٥٥]

الدخان:

دُخَانُ النَّارِ هو مَا يتصاعد عَن النَّار من دقائق الْوقُود غير الْمُحْتَرِقَة وَجَمْعُهُ (دَوَاخِنُ) وَ(دَخَنَتِ) النَّارُ ارْتَفَعَ دُخَّانُهَا وَ (دَخِنَتِ) النَّارُ إِذَا فَسَدَتْ بِإِلْقَاءِ الْحَطَبِ عَلَيْهَا حَتَّى هَاجَ دُخَّانُهَا[٥٦].

وقد وردت الكلمة في قوله:

إلى جانبي قصر الـــدخان مغربـــا إلى المقس روى العهد تلك المعاهدا[٥٧]

وفي قوله:

تحـــت دخـــان جـــاء مـــن ثغـــرة تفضـــي لمســـتوقدها مـــن ركـــين[٥٨]

وفي قوله:

ما خلت أن النـــار فـــي وجناتـــه حتى بـــدا فـــي عارضـــيه دخـــان[٥٩]

الرماد:

الرماد: مَا تخلف من احتراق الْموَاد (ج) أرمدة [٦٠]، وقد وردت الكلمة في قوله:

كأن نجـــوم الليـــل لمـــا تبلجـــت توقـــد جمـــر فـــي ســـواد رمـــاد[٦١]

وقوله:

إلى أن علا شيب الرمـــاد قذالـــه وأصبح شيخا في المزاج وفي الفكل[٦٢]

وقوله:

فـــلا يغـــررك مـــا أظهرتـــه فتحـــت الرمـــاد أحـــر الضـــرام[٦٣]

وقوله:

إلى أن حكى بعد الخمود رمادهـــا غبارا من الكافور فـــي قطـــع النـــد[٦٤]

---

[٥٥] ظافر، ديوانه، ص ٣٣٢.

[٥٦] انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة دخن، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة دخن.

[٥٧] ظافر، ديوانه، ص ٩٥.

[٥٨] ظافر، ديوانه، ص ٣٠١.

[٥٩] ظافر، ديوانه، ص ٣١٥.

[٦٠] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة رمد.

[٦١] ظافر، ديوانه، ص ٩١.

[٦٢] ظافر، ديوانه، ص ٢٤٤.

[٦٣] ظافر، ديوانه، ص ٢٩٤.

المسجور:

سَجَرَ التَّنُّورَ أَحْمَاهُ، وسَجَرَ النَّهْرَ مَلأَهُ وَمِنْهُ الْبَحْرُ (الْمَسْجُورُ)، و(الْمَسْجُور) المتقد والممتلئ، وَبَابُهُمَا نَصَرَ. وَ(السَّجُورُ) بِالْفَتْحِ مَا يُسْجَرُ بِهِ التَّنُّورُ. و: (سَجَرَ التَّنُّورَ) يَسْجُرُه سَجْراً: أَوْقَدَه و (أَحْماهُ) (٦٥) .

وقد وردت كلمة المسجور في قوله:

مطبـــــق مطـــــين مســـــجور بعوضـــــها يكســـــر كالنســـــور(٦٦)

الشرار:

الشِّرَارُ، (ككِتَاب)، والشَّرَرُ، مثل (جَبَل): وهو مَا يَتَطَايَرُ من النّارِ، واحِدَتُهما بهاءٍ (٦٧).

وفي الوسيط: (الشرار) أَجزَاء صَغِيرَة متوهجة تنفصل عَادَة من جسم يَحْتَرِق والضوء الْحَادِث من التفريغ الكهربي الْوَاحِدَة شرارة (٦٨).

وقد وردت اللفظة في قوله:

كـــأن ذاك الشـــرار مـــن ذهـــب قراضـــــة تســـــتطير مـــــن نقـــــر(٦٩)

الفحم:

الفَحْم –وَقَدْ يُحَرَّكُ مِثْلُ نَهْرٍ ونَهَرٍ–: مَادَّة سَوْدَاء ذَات مسام تتخلف من إحراق الْخشب وَالْعِظَام وَنَحْوهمَا إحراقا جزئيا، ويجمع على فحام وفحوم. و(الفحم النباتي) مَا تخلف من إحراق النَّبَات خَاصَّة، و(الفحم الحجري) مَعْدن أسود براق أَو ضَارب إِلَى السوَاد تكون من مواد نباتية فِي جَوف الأَرْض خلال عصور متطاولة، وواحدته فحمة (٧٠).

وقد وردت كلمة الفحم في قوله:

---

(٦٤) ظافر، ديوانه، ص ٩١.

(٦٥) انظر: الرازي: مختار الصحاح، والزبيدي: تاج العروس، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة سجر.

(٦٦) ظافر، ديوانه، ص ١٣٧.

(٦٧) انظر: الزبيدي: تاج العروس: مادة شرر.

(٦٨) انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة شرر.

(٦٩) ظافر، ديوانه، ص ١٣٥.

(٧٠) انظر: الرازي: مختار الصحاح، والزبيدي: تاج العروس، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة (فحم).

كأن جيوش الفحم من فوق جمره وقد جمعا فاستحسن الضد بالضـــد[٧١]

وقوله:

تأمل ففي الكانون أعجب منظـــر إذا سرحت في فحمه جمرة النار[٧٢]

وقوله:

انظر إلى الفحم في الكانون حين بدا سواده فوق محمر مـــن اللهـــب [٧٣]

وقوله مستخدما الفحم لدلالته على اللون الأسود حين وصف الزهر الأحمر وفي حافته لون أسود:

وللشـــقائق جمـــر فـــي جوانبهـــا بقية الفحم لـــم تســـتره باللهـــب[٧٤]

وقوله:

انظر إلـــى مـــا ضـــمن الـــــــ كـــانون مـــن فخـــم وجمـــر[٧٥]

ووردت بصيغة المفرد لدلالته أيضا على السواد في قوله:

وتحسب فحمـــة فـــي كـــل ســـاق أحاط– سوى اليسير – بها التهاب[٧٦]

القار:

القار أو القير أو الزِّفْتُ، وَهُوَ شيء أَسْوَدُ يُطْلَى بِهِ السُّفُنُ يَمْنَعُ الماءَ أَنْ يَدْخُلَ، وَكَذَا الإِبِلُ عِنْد الجَرَبِ. والزفت مَادَّة سَوْدَاء صلبة تسيلها السخونة تتخلف من تقطير الْمواد القطرانية [٧٧].

وقد يستخدم في المساعدة على إشعال النار أو استمرار إشعالها، لأنه شديد الاشتعال، أو يطلى به بعض مصنوعات الحديد، واستخدمه الشاعر لدلالته على السواد، وذلك في قوله:

كما ميَّل الدَّنَّ المُـــروّق ســـاكبٌ فدب احمرار الخد في حلك القار[٧٨]

---

[٧١] ظافر، ديوانه، ص ٩١.

[٧٢] ظافر، ديوانه، ص ١٣٦.

[٧٣] ظافر، ديوانه، ص ٦.

[٧٤] ظافر، ديوانه، ص ١٩.

[٧٥] ظافر، ديوانه، ص ١٣٥.

[٧٦] ظافر، ديوانه، ص ٢٩.

[٧٧] انظر: الرازي: مختار الصحاح مادة (قير)، والزبيدي: تاج العروس مادة (قير)، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة قير، ومادة زفت.

[٧٨] ظافر، ديوانه، ص ١٣٦.

واستخدمه أيضا لدلالته على السواد في قوله:

ودبت سلاف النار في قار فحمـــه كما دب نور الشمس في طرف الظل[٧٩]

الكانون:

والكانون عنصر أساسي في حرفة الحدادة بناره التي يلين بها الحديد، ولا يتصور أن يوجد دكان حداد دون موقد النار وما يتعلق به.

وَ(الْكَانُونُ) وَ(الْكَانُونَةُ) الْمَوْقِدُ، ويجمع على كوانين وكانون الأول (ديسمبر) وكانون الثَّانِي (يناير) شَهْرَان فِي قلب الشتَاء بَين تشرين الثَّانِي وشباط وَلَا شهر بَينهمَا ويسميهما الْعَرَب شَهْرِي قماح[٨٠].

والناظر في ديوان ظافر يجد أن لفظة (الكانون) تكررت أكثر من مرة، بل إنه لا يخفي إعجابه بمنظر الكانون وكأنه يتغزل فيه إذ يقول:

تأمل ففي الكانون أعجب منظـــر إذا سرحت في فحمه جمرة النار[٨١]

ووردت الكلمة أيضا في قوله:

انظر إلى الفحم في الكانون حين بدا سواده فوق محمر مـــن اللهـــب [٨٢]

وقوله:

ولا تبعد الكـــانون عنـــك فإنـــه لأمنعها درعا وأمضـــى مهنـــد[٨٣]

وقوله:

وجمـــــر كانوننـــــا يماثلـــــه فعلا بمـــا بثـــه مـــن الشـــرر [٨٤]

وقوله:

لقد جمع الكانون نـــورا وظلمـــة وجالسنا في هيئة الرجل الحُكـــل[٨٥]

ومن شدة ولعه بالكانون فهو يستخدم الكلمة في شعره في جناس جميل مع كلمة كانون التي تدل على شهري ديسمبر ويناير، فيقول:

---

[٧٩] ظافر، ديوانه، ص ٢٤٤.

[٨٠] انظر: مختار الصحاح، مادة كنن، والتاج العروس (كنن)، والمعجم الوسيط (كنن)

[٨١] ظافر، ديوانه، ص ١٣٦

[٨٢] ظافر، ديوانه، ص ٦.

[٨٣] ظافر، ديوانه، ص ٩٠

[٨٤] ظافر، ديوانه، ص ١٣٥

[٨٥] ظافر، ديوانه، ص ٢٤٤. والحكل: الأعجم، وما لا يسمع صوته.

يلجـــأ إلـــى الكـــانون فـــي كـــانون مفتقـــر ومثـــر [٨٦]

تَلْهَبُ (اللهب – اللهيب – ملتهب –متلهب):

ألهب النار: أوقدها، ولهَّب النار: أوقدها، تلهَّبت النار: النارُ: اتقدت، و(اللَّهْبُ) بِفَتْح فَسُكُون، (واللَّهَبُ) محرّكةً، (واللَّهيبُ) كأَمِيرٍ، (واللُّهَابُ بالضَّمِّ، واللَّهَبَانُ مُحَرَّكةً: اشتِعالُ النَّارِ: إِذَا خَلَصَ من الدُّخَانِ). الأُولى: لُغَةٌ فِي الثّانِيَة، كالشَّمَعِ والشَّمْع، والنَّهَر والنَّهْر[٨٧].

وقد تكررت هذه الكلمة في شعر الحداد كثيرا، أحيانا في معانيها الحقيقية، واستخدمها كذلك في معانيها المجازية، واستخدمها بأكثر من صيغة، وتنوع استخدامه لصيغ الكلمة يدل على مدى تعمق الكلمة في قاموس الشاعر، فقد استخدم صيغة الفعل (تلهب)، بحذف التاء في قوله:

عسى تنقضي لوعـــة فـــي الفـــؤا د أو تنطفـــي جمـــرة تَلْهَـــبُ[٨٨]

واستخدم (اللهب) في قوله:

انظر إلى الفحم في الكانون حين بدا سواده فوق محمر مـــن اللهـــب[٨٩]

وقوله:

أو حلقة مـــن لجـــين ذاب أكثرهـــا لما تغافل ملقيهـــا علـــى اللهـــب[٩٠]

وقوله:

لأن ترويحـــه علـــى مرضـــى أخمد ما بـــالفؤاد مـــن لهبـــه [٩١]

ونراه يستخدم صيغة أخرى للكلمة، وهي (اللهيب)، وذلك في قوله:

ذو لوعـــة كاللهيـــب صـــادعة تحرقنـــي بـــالزفير أو تخنـــق[٩٢]

واستخدم صيغة أخرى وهي (ملتهب) على وزن مفتعِل، وذلك في قوله:

كم فكرة أنتجت معنـــى لملتهِـــب بالشوق لو رامه في غيره عزبا[٩٣]

وفي قوله:

---

[٨٦] ظافر، ديوانه، ص ١٣٥.

[٨٧] انظر: الزبيدي: تاج العروس: مادة لهب.

[٨٨] ظافر، ديوانه، ص ٥٤.

[٨٩] ظافر، ديوانه، ص ٦.

[٩٠] ظافر، ديوانه، ص ٧.

[٩١] ظافر، ديوانه، ص ٥٧.

[٩٢] ظافر، ديوانه، ص ٢٣٢.

[٩٣] ظافر، ديوانه، ص ٣٤.

أســـود فـــي أحمـــر تحســـبه فحما فـــي جمرهـــا الملتهِـــب[٩٤]

واستخدم صيغة (متلهب) من الفعل تلهب، وذلك في قوله:

فلـــم أر جمـــرا قبلـــه متلهبـــا إذا لمسته الكف ألفتـــه بـــاردا [٩٥]

النفط:

وَ(النِّفْطُ) دُهْنٌ وَالْكَسْرُ فِيهِ أَفْصَحُ، وهو مزيج من الهدروكربونات يحصل عَلَيْهَا بتقطير زَيْت البترول الخام أَو قطران الفحم الحجري وَهُوَ سريع الاشتعال وَأَكْثر مَا يسْتَعْمل فِي الْوقُود[٩٦].

وقد وردت الكلمة في قوله:

ودام لها في الحـــال فـــرط تنهـــد وتكرار أنفاس أحر من الـــنفط [٩٧]

وقوله:

بجرد يطير النار بالقاع ركضها كان قد توارى في سنابكها النفط[٩٨]

النار:

النَّار: عنصر طبيعي فعال يمثله النُّور والحرارة المحرقة وَتطلق على اللهب الَّذِي يَبْدُو للحاسة كَمَا تطلق على الْحَرَارَة المحرقة، وتجمع على نيران وأنور، وَيُقَال استضاء بناره استشاره وَأخذ برَأْيه وأوقد نَار الْحَرْب أثارها وهيجها[٩٩].

وَ(النَّارُ) مُؤَنَّثَةٌ وَهِيَ مِنَ الْوَاوِ لِأَنَّ تَصْغِيرَهَا (نُوَيْرَةٌ) وَجَمْعُهَا (نُورٌ) وَ (أَنْوُرٌ) وَ (نِيرَانٌ) انْقَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا[١٠٠].

والنار أهم عنصر في صناعة الحدادة؛ ولذلك وردت هذه الكلمة كثيرا في شعر ظافر في معناها الحقيقي، ومعانيها المجازية، وذلك في المواضع الآتية:

والفهم كالنار والتشـــبيب إن خمـــدت يشـــبها بلطيفـــي فكـــرة وصـــبا [١٠١]

شـــب نـــار الحـــزم فيهـــا فـــإذا كـــل بـــاغ عنـــدها كالخطـــب[١٠٢]

---

[٩٤] ظافر، ديوانه، ص ٤١.

[٩٥] ظافر، ديوانه، ص ٩٦.

[٩٦] انظر: الرازي: مختار الصحاح، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة نفط.

[٩٧] ظافر، ديوانه، ص ١٨٧.

[٩٨] ظافر، ديوانه، ص ٣٤٢.

[٩٩] انظر: المعجم الوسيط، مادة (نور).

[١٠٠] انظر: مختار الصحاح، وتاج العروس، مادة (نور).

[١٠١] ظافر، ديوانه، ص ٣٤.

[١٠٢] ظافر، ديوانه، ص ٤٤.

ثـــم تعجبـــت كيـــف أخمـــد بالـــــ ـــترويح ناري والنـــار تشـــعل بـــه[١٠٣]
ظـــــلام كأحـــــداق الجـــــآذر لونـــــه دجـــا فضـــياء النـــار لـــيس يفيـــد[١٠٤]
وروض له من جلمد الصخر أزهـــار خصيب إذا ما أضرمت تحته النـــار[١٠٥]
تأمل ففـــي الكـــانون أعجـــب منظـــر إذا سرحت في فحمه جمـــرة النـــار [١٠٦]
وليس الشجاع الندب من يضرب الطلى دراكا ونار الحرب تـــذكي وتســـعر[١٠٧]
كأنهـــــا نـــــار قـــــد أضـــــرمت مـــن خلـــف ســـتر خلـــق أخضـــر[١٠٨]
وما جبت في نار الأسى غيـــر عـــالم ولا خضت في بحر الهوى غير عـــارف
وإمـــا إلـــى نـــار فيـــا لـــك غربـــة وطـــول عـــذاب دائـــم ولـــزام [١١٠]
مـــا خلـــت أن النـــار فـــي وجناتـــه حتـــى بـــدا فـــي عارضـــيه دخـــان[١١١]
والفهم كالنار والتشـــبيب إن خمـــدت يشـــبها بلطيفـــي فكـــرة وصـــبا [١١٢]
شـــب نـــار الحـــزم فيهـــا فـــإذا كـــل بـــاغ عنـــدها كالخطـــب [١١٣]
ثـــم تعجبـــت كيـــف أخمـــد بالـــــ ـــترويح ناري والنـــار تشـــعل بـــه [١١٤]
ظـــــلام كأحـــــداق الجـــــآذر لونـــــه دجـــا فضـــياء النـــار لـــيس يفيـــد [١١٥]
وروض له من جلمد الصخر أزهـــار خصيب إذا ما أضرمت تحته النـــار [١١٦]

---

[١٠٣] ظافر، ديوانه، ص ٥٨.
[١٠٤] ظافر، ديوانه، ص ١٠٦.
[١٠٥] ظافر، ديوانه، ص ١٣٣.
[١٠٦] ظافر، ديوانه، ص ١٣٦.
[١٠٧] ظافر، ديوانه، ص ١٥٥.
[١٠٨] ظافر، ديوانه، ص ١٦٠.
[١٠٩] ظافر، ديوانه، ص ٢٢١.
[١١٠] ظافر، ديوانه، ص ٢٨٥.
[١١١] ظافر، ديوانه، ص ٦.
[١١٢] ظافر، ديوانه، ص ٣٤.
[١١٣] ظافر، ديوانه، ص ٤٤.
[١١٤] ظافر، ديوانه، ص ٥٨.
[١١٥] ظافر، ديوانه، ص ١٠٦.
[١١٦] ظافر، ديوانه، ص ١٣٣.

وليس الشجاع الندب من يضرب الطلى دراكا ونار الحرب تـذكي وتسـعر [١١٧]
كأنهـا نـار قـد أضـرمت مـن خلـف سـتر خلـق أخضـر [١١٨]
ومـن أصـبحت نـار وجـدي بـه تؤججهـا فـي الحشـا أدمعـي [١١٩]
وما جبت في نار الأسى غيـر عـالم **ولا خضت في بحر الهوى غير عارف** [١٢٠]
وإمـا إلـى نـار فيـا لـك غربـة وطـول عـذاب دائـم ولـزام [١٢١]
مـا خلـت أن النـار فـي وجناتـه حتى بـدا فـي عارضـيه دخـان [١٢٢]

وأضافها إلى كلمة قلل في قوله:

كما ميل الزق المروق ساكب فدب احمرار الخد في قلل النار[١٢٣]

وَ(الْقُلَّةُ) إِنَاءٌ لِلْعَرَبِ كَالْجَرَّةِ الْكَبِيرَةِ وَيُجْمَعُ عَلَى (قُلَلٍ) [١٢٤]، وقد يوضع فيها الفحم ويشعل، فتسمى قلل النار.

الوقود (توَقُّد – الوقاد – مستوقد– المَوْقِد):

وَقَدَت النارُ تقِد وقدا ووُقودا وقدة، ووقدانا: اشتعلت، وأوقد النار: أشعلها، وقدَّ النار: أوقدها، واستوقدت النار: اشتعلت، وتوقدت النار: اشتعلت، والمستوقَد موضع إشعال النار وتجمع على مواقد، والموقد: بِوَزْنِ مَجْلِسٍ موضع النار، و(الْوَقَّاد) مَا توقد بِهِ النَّار من الْحَطب وَنَحْوه، و(الوقد) النَّار واتقاد النَّار، (الوقدة) أَشد الْحر يُقَال طبختهم وقدة الصَّيف، (الْوَقَّاد) وصف لِلْمُبَالَغَة وَمن يُوقد النَّار وَمن يقدم الْوقُود إِلَى القاطرة وَنَحْوهَا، وَمن يشعل المصابيح [١٢٥].

وورت كلمة (الوقود) في قوله:

إذا مجـه الغمـد اسـتنار كأنـه شباب له بعـد الهـدوء وقـود[١٢٦]

---

[١١٧] ظافر، ديوانه، ص ١٥٥.
[١١٨] ظافر، ديوانه، ص ٦١٦٠.
[١١٩] ظافر، ديوانه، ص ٢٠٦.
[١٢٠] ظافر، ديوانه، ص ٢٢١.
[١٢١] ظافر، ديوانه، ص ٢٨٥.
[١٢٢] ظافر، ديوانه، ص ٣١٥.
[١٢٣] ظافر، ديوانه، ص ١٣٦
[١٢٤] انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة قلل.
[١٢٥] انظر: الرازي: مختار الصحاح، والزبيدي: تاج العروس، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة وقد.
[١٢٦] ظافر، ديوانه، ص ١٠٧.

وقد ورد المصدر تَوَقُّد من الفعل توقد في قوله:

كأن نجـــوم الليـــل لمـــا تبلجـــت تَوَقُّدُ جمرٍ فـــي ســـواد رمـــاد(١٢٧)

ووردت كلمة مستوقَد (موضع إشعال النار) في قوله:

تحت دخـــان جـــاء مـــن ثغـــرة تفضي لمستوقَدها من ركـــين(١٢٨)

الوقاد (من يوقد النار) في قوله:

أحرهـــا الوقَّـــاد حتـــى غـــدا من أجلها للروح مثل الشقيق (١٢٩)

ووردت كلمة (موقد) في قوله:

فما البرد إلا الليث يلقـــى بعزمـــه جيوشا ويخشى قرب أصغر موقـــد(١٣٠)

إن المتأمل في هذه المجموعة يدرك تماما مدى تغلل الألفاظ المتعلقة بالنار في نفس الشاعر، ولا عجب في ذلك فالنار والحديد قوام مهنة الحدادة، فقد استخدم الشاعر كلمة النار في ديوانه أكثر من عشرين مرة، يستخدمها أحيانا في معانيها الحقيقية، ويستخدمها في أحيان أخرى في معان مجازية (نار الأسى – نار الوجد – نار الغربة–... الخ)، إن النار التي يستخدمها الشاعر في مهنته ولا يمكن الاستغناء عنها صارت جزءا أساسيا من قاموسه اللغوي وكثيرا ما يستدعي لفظها في مواضع متعددة من شعره، واستدعي معها لهيبها وحرارتها ودخانها، وشررها، وإحراقها، ورمادها، وأماكنها إشعالها في دكانه مثل الكانون أو التنور أو الموقد، وما تشتعل به من وقود مثل الفحم والحطب، وتحولهما بعد ذلك إلى جمر، وما يعينه على إشعال الوقود من قار ونفط.

إن الشاعر لم يترك مرحلة من مراحل إشعال النار أو ما يترتب على إشعالها إلا وضمن شيئا من ألفاظها في شعره، فهل من الممكن أن تتواجد مثل هذه الألفاظ في شعر أحد إلا إذا كان حدادا يتعامل بهذه الألفاظ وتلك الأشياء كل يوم، حتى صارت في قاموسه كلمات تنبض بالحياة قريبة المنال من فكره، وفي متناوله سرعان ما يأتي بها في عباراته وكلامه.

إنه يتغنى بكانونه وكأنه يتغزل فيه بقوله:

تأمل ففي الكانون أعجب منظـــر إذا سرحت في فحمه جمرة النـــار(١٣١)

---

(١٢٧) ظافر، ديوانه، ص ٩١.

(١٢٨) ظافر، ديوانه، ص ٣٠١.

(١٢٩) ظافر، ديوانه، ص ٢٢٤.

(١٣٠) ظافر، ديوانه، ص ٩٠.

(١٣١) ظافر، ديوانه، ص ١٣٦

وكان منظر كانونه يستهويه كثيرا ويجد في منظره مجالا خصبا لشاعريته المتفتحة تطوف به، ويستخرج منه كثيرا من الصور الأخاذة التي كان قد كلف بإبرازها، إننا نرى الكانون عند الحدادين في المدينة والقرية فهل تُرى آثار فينا ما أثاره عند ظافر حين يتأنق في وصفه[١٣٢] فيقول:

كأن جيوش الفحم من فوق جمره وقد جمعا فاستحسن الضد بالضد
غدائر خود فرقَتْها وقد بدت على خفر من تحتها حمرة الخد
فلما تناهى صبغه خلت أنه فصوص عقيق أو جنى زهر الورد
إلى أن حكى بعد الخمود رمادها غبارا من الكافور في قطع الند[١٣٣]

فهذه الألفاظ في تلك الصورة لا تتأتى لشاعر إلا إذا كان حدادا، يستمتع بمنظر جمرة النار في كانونه، ويعايش هذا المشهد كل يوم.

وهل من الممكن أن تأتي كلمة (النفط)، في شعر شاعر إلا إذا كان وثيق الصلة بهذه المادة ويستخدمها في مهنته.

وهذا التنوع في استخدامه للجذر اللغوي (لهب) و (وقد) دليل أيضا على عمق مكانة الألفاظ المتعلقة بالنار في نفسه، وكشفها عن مهنته.

وعندما استخدم الشاعر كلمة الفحم في صورة بديعة في قوله:

كأن جيوش الفحم من فوق جمره وقد جمعا فاستحسن الضد بالضد[١٣٤]

كأنه يكشف لنا عن اعتزازه بمهنته ويعتبر دكان مهنته هو ساحة معركته وميدان جهاده.

كما نلاحظ وجود أكثر من مفردة من مفردات مهنته في البيت الواحد لتتأكد لنا حقيقة مهمة، وهي أن ألفاظ ظافر المتعلقة بمهنته لم تأتِ عفوا، وإنما جاءت لتعبر عن استقرار هذه الألفاظ في قاموسه، وتَشبُّع نفسه بها، لقد وجدت كلمات مهنته مكانا راسخا في قاموسه القريب، فسهل عليه أن يلتقط منها ما يريد في معانيها الحقيقية والمجازية.

إن معظم كلمات هذا الحقل الدلالي قد تكررت عند ظافر، مما يعكس كثرة دورانها على لسانه، وتأثر لغته بمهنته، وتؤكد على حقيقة أخرى أنه يرى أشياءه تلك بعين أخرى غير التي يرى بها عموم الناس هذه الأشياء.

---

[١٣٢] انظر: مع الشعراء أصحاب الحرف: عبد العليم القباني، ص ١٧.

[١٣٣] ظافر، ديوانه، ص ٩١.

[١٣٤] ظافر، ديوانه، ص ٩١.

المبحث الثاني: الألفاظ المتعلقة بأدوات المهنة والعناصر المستخدمة فيها.

إذا انتقلنا إلى مجموعة أخرى من الكلمات المتعلقة بالمهنة في شعر ظافر، وهي الكلمات المتعلقة بالأدوات والمعادن التي يستخدمها الحداد في صنعته وجدنا مجموعة جديدة من الألفاظ، فقد ذكر من الآلات التي يستخدمها في مهنته المبرد والمدوس، وذكر من المعادن التي يستخدمها: الحديد- الذهب (الإبريز – الشذر) -الزبرجد- السبك – عقيق – الفضة (اللجين).

الآلات التي يستخدمها:

المبرد:

(بَرَدَ الْحَدِيدَ بِالْمِبْرَدِ) ونحوِه من الْجَوَاهِرِ يَبْرُدُه بَرْداً، وَ (الْبُرَادَةُ) بِالضَّمِّ مَا سَقَطَ مِنْهُ[١٣٥].

و(الْمبرد) أَدَاة بهَا سطوح خشنة تسْتَعْمل لتسوية الْأَشْيَاء أَو تشكيلها بالتأكل أَو السحل (مج)[١٣٦]

وقد وردت الكلمة في قوله:

كالمبرد المنقوش نقشا خففت آثار موقعه يدا ضرابه[١٣٧]

المدوس:

دوس: (دَاسَ) الشَّيْءَ بِرِجْلِهِ مِنْ بَابِ قَالَ وَدَاسَ الطَّعَامَ يَدُوسُهُ (دِيَاسَةً) (فَانْدَاسَ) وَالْمَوْضِعُ (مَدَاسَةٌ) بِالْفَتْحِ. وَ (الْمِدْوَسُ) بِوَزْنِ الْمِعْوَلِ مَا يُدَاسُ بِهِ.

والمِدْوَسُ: مَا يُداسُ بِه الطَّعَامُ، وفِي اللِّسَانِ: الكُدْسُ يُجَرُّ عَلَيْهِ جَرًّا، كالْمِدْوَاسِ، كمِحْرَابٍ[١٣٨].

و(المدوس) المدواس وخشبة يشد عَلَيْهَا مسن يدوس بهَا الصيقل السَّيْف حَتَّى يجلوه، وجمعها مداوس [١٣٩] .

كأن بياض الماء في كل جدول نصول سيوف أخلصتها المداوس[١٤٠]

ولم يذكر ظافر في شعره غير هاتين الأداتين (المبرد – المدوس) على الرغم من كثرة الأدوات التي يستخدمها الحداد، والمبرد يستخدم عند الحداد في برد المصنوعات الدقيقة من خاتم ونحوه، وهذه الأداة قربته إلى بعض الأمراء عندما استعانوا بخبرته في إصلاح خواتمهم وبردها، فقد ذكر القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الآمدي، قائلا: دخلت على

---

[١٣٥] انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة يرد. والزبيدي: تاج العروس: مادة برد.

[١٣٦] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة برد.

[١٣٧] ظافر، ديوانه، ص ٢٣.

[١٣٨] انظر: الرازي: مختار الصحاح، والزبيدي: تاج العروس: مادة دوس.

[١٣٩] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة دوس.

[١٤٠] ظافر، ديوانه، ص ١٦٨.

الأمير السعيد بن مظفر في أيام ولايته بالثغر، فوجدته يقطر دهنا على خنصره، فسألته عن سببه، فذكر ضيق خاتمه عليه وانه ورم بسببه، فقلت له: الرأي قطع حلقته قبل أن يتفاقم الأمر فيه. فقال اختر من يصلح لذلك، فاستدعيت أبا منصور ظافر بن القاسم الحداد، فقطع الحلقة وأنشد بديها:

قصَّـــر فـــي أوصـــافك العـــالم وكثَّـــــر النـــــاثر والنـــــاظم

مـــن يكـــن البحـــر لـــه راحـــة يضـــيق عـــن خنصـــره الخـــاتم[١٤١]

ومن هنا يأتي اعتزازه بهذه الأداة.

وذكر المدوس وهو آلة صقل السيوف، والسيف أعز ما يفخر الشاعر بصنعته كما سنرى في المبحث الثالث.

أما عن المعادن التي يستخدمها الحداد وذكرها الشاعر فهي:

الحديد (الحدائد – الحداد – المحدد):

وهو عنصر المهنة الأساسي، ومنه أخذت المهنة فيقال الحدادة، وفي الوسيط: (الحدادة) صناعَة الْحداد وحرفته[١٤٢].

وصاحبها الحداد، وفي الوسيط (الْحداد) صانع يحمي الْحَدِيد ويطرقه لتشكيله بِحَسب الشكل الْمَطْلُوب (مج) وبائع الْحَدِيد[١٤٣].

وقد وردت الكلمة في شعر ظافر بأكثر من صيغة.

والحَدِيدُ، معروفٌ وَهُوَ هَذَا الجَوهرُ المعروفُ، لأَنه مَنِيعٌ، القِطْعَةُ مِنْهُ حَدِيدةٌ: (ج} حَدائدُ وحَدَائِداتٌ، وَهُوَ جمعُ الجمعِ، والحَدَّادُ، ككَتَّان: صانع يحمي الْحَدِيد ويطرقه لتشكيله بِحَسب الشكل الْمَطْلُوب، وبائع الْحَدِيد والبواب والسجان. [١٤٤]

قد وردت لفظة الحديد في الأبيات التالية:

فألجمته عضب الغرارين كاســـرا هو الموت لولا أن يقال حديد [١٤٥]

لقد ذاب قلبي في دموعي علـــيكم على أنه في النائبـــات حديـــد[١٤٦]

---

[١٤١] ظافر، ديوانه، ص ٢٩٩.

[١٤٢] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة حدد.

[١٤٣] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة حدد.

[١٤٤] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة حدد.

[١٤٥] ظافر، ديوانه، ص ١٠٧.

[١٤٦] ظافر، ديوانه، ص ١١٤.

كأن الصبا لمـــا أثـــارت حبابـــه تمر على سيف حديد مبـــاردا [١٤٧]

ووردت بلفظ الجمع في قوله:

كأن فؤادي بيـــنهم تحـــت أســـهم تشمر عند الرمي منهـــا الحدائـــدا [١٤٨]

وورد لفظ المحدد صفة لكلمة اللباس، ويقصد بها الدروع الحديدية وذلك في قوله:

إذا ما جيوش القر جاءت فرم لها كمينا بأضعاف اللباس المحدد[١٤٩]

وورد لفظ حداد وهو جمع كلمة حديد في قوله:

وعـــوذه بهـــا بيضـــا حـــدادا يناســـبها لـــه عـــزم وعـــرض[١٥٠]

الحدَادَ جَمْعٌ لحَدِيدٍ كظَرِيف وظِرَاف وكَبِيرٍ وكِبَار. قَالَ: وَمَا أَتى على فَعِيلٍ فَهَذَا مَعْنَاهُ، وضَبطَه ابنُ هِشامٍ اللَّخْمِيُّ فِي شَرْح الفَصِيح بالكَسْرِ ككِتَابٍ ولِبَاس، (و) حكى أَبو عَمْرٍ و: سَيْف حُدَّادٌ، مثل (رُمَّانٍ) [١٥١].

وورد لفظ حد في قوله:

وجلـــت فـــي ناحيـــة طولهـــا كعرض حد الصارم المرهف [١٥٢]

وَ(حَدَّ) السَّيْفُ يَحِدُّ بِالْكَسْرِ (حِدَّةً) أَيْ صَارَ (حَادًّا) وَ (حَدِيدًا) وَسُيُوفٌ (حِدَادٌ) [١٥٣]

الذهب (الإبريز- الشذر):

ويستخدمه الحداد في تزيين مقابض السيوف ومشغولات الحديد.

و(الذَّهَبُ) مَعْدِنٌ ثَمِينٌ وَشَيْءٌ (مُذَهَّبٌ) وَ (مُذْهَبٌ) أَيْ مُمَوَّهٌ بِالذَّهَبِ [١٥٤].

وقد وردت كلمة الذهب في قوله:

كشمسة من لجـــين فـــي زبرجـــدة قد أشرقت تحت مسمار مـــن الـــذهب[١٥٥]

وقوله:

---

[١٤٧] ظافر، ديوانه، ص ٩٥.

[١٤٨] ظافر، ديوانه، ص ٩٤.

[١٤٩] ظافر، ديوانه، ص ٩٠.

[١٥٠] ظافر، ديوانه، ص ١٨٠.

[١٥١] انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة حدد.

[١٥٢] ظافر، ديوانه، ص ٢١٥.

[١٥٣] انظر: الزبيدي: تاج العروس: مادة حدد.

[١٥٤] انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة ذهب، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة ذهب.

[١٥٥] ظافر، ديوانه، ص ١١.

ومن أصيل كأن المـــاء فيـــك بـــه ذوب اللجين علاه ذائـــب الـــذهب[١٥٦]

وقوله:

ولو جرى نيلها لي فضـــة وغـــدا سفح المقطم منها وهو لي ذهـــب[١٥٧]

وقوله:

أعطى المدائن والجم الهجـــائن والـــــ ـــجرد الصواهل لما استنفد الذهبا[١٥٨]

وقوله:

ورأى أضـــــعافه مـــــن ذهـــــب فـــاض مـــن كفيـــك للمســـتوهب[١٥٩]

وجمع الشاعر بين كلمتي الذهب والإبريز في قوله:

هي الذهب الإبريز صفت نضارة يد السبك من عيب يشـــوب وذام[١٦٠]

والإبريز من الذهب: الخالص، قَالَ ابنُ جنّي: هُوَ إِفْعِيلٌ من بَرَزَ، والهمزةُ والياءُ زائدتان. وَقَالَ ابْن الأَعْرابِيّ: الإِبْرِيزُ: الحَلْيُ الصافي من الذَّهَب، والقطعة منه إبريزة. [١٦١]

وذكر كلمة الشذر في قوله:

أو كـــــــالعقود تضـــــــمنت نـــوعين مـــن ســـبج وشـــذر[١٦٢]

والشَّذْرُ بالفَتْح: (قِطَعٌ من الذَّهَب تُلْقَطُ مِن مَعْدِنِه بِلَا إِذَابَة) الحِجَارة، وَمِمَّا يُصاغُ من الذَّهبِ فَرَائِدُ يُفَصَّلُ بهَا اللُّؤْلُؤُ والجَوْهَرُ. [١٦٣]

الفضة (اللجين):

والفضة أيضا من المعادن التي يستخدمها الحداد في تزيين كثير من المشغولات التي يصنعها.

---

[١٥٦] ظافر، ديوانه، ص ٢٣.

[١٥٧] ظافر، ديوانه، ص ٣٢.

[١٥٨] ظافر، ديوانه، ص ٣٥.

[١٥٩] ظافر، ديوانه، ص ٤٢.

[١٦٠] ظافر، ديوانه، ص ٢٨٢.

[١٦١] انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة برز، والزبيدي: تاج العروس مادة برز، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: باب الألف.

[١٦٢] ظافر، ديوانه، ص ١٣٥.

[١٦٣] انظر: الزبيدي: تاج العروس: مادة شذر، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مادة شذر.

و(الْفضة) عنصر أَبيض قَابل للسحب والطرق والصقل من أَكثر الْموَاد توصيلا للحرارة والكهرباء وَهُوَ من الْجَوَاهِر النفيسة الَّتِي تستخدم فِي سك النُّقُود كَمَا تسْتَعْمل أملاحها فِي التَّصْوِير (ج) فضَض وفضاض(١٦٤).

ل ج ن: (اللُّجَيْنُ) بالضَّمِّ الْفضَّةُ جَاءَ مُصَغَّرًا مِثْلُ الثُّرَيَّا وَالْكُمَيْت. (١٦٥)

وفي التاج: (واللُّجَيْنُ)، كزُبَيْرٍ: (الفِضَّةُ)، لَا مكبر لَهُ جاءَ مُصَغَّراً كالثُّرَيَّا والكُمَيْتِ(١٦٦).

وقد وردت كلمة لجين في قوله:

كشمسة من لجين في زبرجدة قد أشرقت تحت مسمار من الذهب(١٦٧)

وقوله:

ومن أصيل كأن الماء فيك به ذوب اللجين علاه ذائب الذهب(١٦٨)

وقوله:

والناس فيها في زحام كما يفرغ في القالب ذوب اللجين(١٦٩)

ووردت كلمة الفضة في قوله:

ولو جرى نيلها لي فضة وغدا سفح المقطم منها وهو لي ذهب(١٧٠)

وقوله:

وللسوسن المفتوح أبواق فضة تقابل من حمر الشقيق مطاردا (١٧١)

السبك (سبيكة):

وأحيانا يصنع الحداد سبيكة من الذهب والفضة ويزين بها مشغولاته، ومن ثم استخدم كلمة السبك في شعره.

سَبَكَه يَسبِكُه سَبكاً: أَذابَهُ وأَفْرَغَه فِي القالَب، من الذَّهَب والفِضَّة وغيرِهما من الذّائب، وَهُوَ من حَدِّ ضَرَبَ، كَمَا هُوَ للفارابي، ومثلُه فِي الجَمْهَرَة بخطِّ أبي سَهْل الهَرَوِيِّ يسبِكُه هَكَذَا بالكَسرِ، وبخَطِّ الأَرْزَني بالضّم ضَبطاً مُحَقَّقاً: كسَبَّكَه تَسبِيكاً. والسَّبِيكَةُ كسَفِينَة: القِطْعَةُ المُذَوَّبَةُ

---

(١٦٤) انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة برد.

(١٦٥) انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة لجن.

(١٦٦) انظر: الزبيدي: تاج العروس: مادة لجن.

(١٦٧) ظافر، ديوانه، ص ١١.

(١٦٨) ظافر، ديوانه، ص ٢٣.

(١٦٩) ظافر، ديوانه، ص ٣٠١.

(١٧٠) ظافر، ديوانه، ص ٣٢.

(١٧١) ظافر، ديوانه، ص ٩٦.

من الذَّهَبِ والفِضَّةِ إِذا استَطالَتْ. وَقَالَ اللَّيثُ: السَّبكُ: تَسبيكُ السَّبِيكَةِ من الذَّهَبِ والفِضَّةِ، يُذابُ ويُفْرَغُ فِي مسبَكَةٍ من حَدِيدٍ، كأَنَّها شِقّ قَصَبَةٍ، والجمعُ: السَّبائِكُ[١٧٢].

وقد وردت في قوله:

أخلصـــــها الســـــبك فمـــــا فيهـــا مـــن الغـــش نـــدب[١٧٣]

وقوله:

هي الذهب الإبريز صفت نضارة يد السبك من عيب يشـــوب وذام[١٧٤]

وقوله:

وللبهـــــار دنـــــانير منمقـــــة سبك الغيوث بنار الشمس في العشب[١٧٥]

وقوله:

فإن خلصت عند ســبك العقــول فسهم أصـــاب بـــه غيـــر رام[١٧٦]

ووردت كلمة سبيكة في قوله:

كســـــبيكة الزجـــــاج ذائبـــــة حمـــــراء ينفخهـــــا فتتســـــع[١٧٧]

الزبرجد:

وقد يستخدم الحداد بعض قطع الأحجار الكريمة في صنع فصوص ما يصنعه من خواتم، فاستخدم كلمة الزبرجد.

والزَّبَرْجَدُ بِوَزْنِ السَّفَرْجَلِ جَوْهَرٌ مَعْرُوفٌ[١٧٨]

وفي التاج: (الزَّبَرْدَجُ) و (الزَّبَرْجَدُ) : الزُّمُرُّذُ. صَرِيحُه أَنه لُغةٌ مَشْهُورَة، وَلَيْسَ كذالك، فقد صرَّحَ ابنُ جِنِّي فِي أَوّل الخصائص: إِنّما جاءَ الزَّبَرْدَج مَقلوباً فِي ضرورةِ شِعْرٍ، وذلك فِي القافية خاصَّةً، وذاك لأَنّ الْعَرَب لَا تَقلب الخُماسيَّ[١٧٩].

وفي الوسيط: (الزبرجد) حجر كريم يشبه الزمرد وَهُوَ ذُو ألوان كَثِيرَة أشهرها الْأَخْضَر الْمصْرِيّ والأصفر القبرصي (مج) [١٨٠].

---

[١٧٢] انظر: الزبيدي: تاج العروس: مادة سبك.

[١٧٣] ظافر، ديوانه، ص ١١.

[١٧٤] ظافر، ديوانه، ص ٢٨٢.

[١٧٥] ظافر، ديوانه، ص ١٩.

[١٧٦] ظافر، ديوانه، ص ٢٩٩.

[١٧٧] ظافر، ديوانه، ص ٣٧٢.

[١٧٨] انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة زبرجد.

[١٧٩] انظر: الزبيدي: تاج العروس: زبرجد.

وذلك في قوله:

كشمسة من لجــين فــي زبرجــدة قد أشرقت تحت مسمار من الــذهب[١٨١]

العقيق:

العَقيقُ، كأمِير، وهو حجر كريم أَحْمَر يعْمل مِنْهُ الفصوص يكون بِالْيمن وبسواحل الْبَحْر الْمُتَوَسّط واحدته عقيقة[١٨٢].

فلما تناهى صــبغه خلــت أنــه فصوص عقيق أو جنى زهر الورد[١٨٣]

واستخدام الشاعر لهذه المفردات المتعلقة بالعناصر التي يستخدمها في شعره من حديد وذهب وفضة يعكس مدى اعتزاز الشاعر بعناصر مهنته، فالحديد هو قوام مهنته، وكل من يستخدم الذهب والفضة في صنعة أو يلبسهما حليا يعتز بذلك أيضا، ونوع الشاعر في استخدامه للمفردات التي تدل على هذين العنصرين الذهب – الإبريز – الشذر – الفضة – اللجين – وسبيكة الذهب والفضة.

وكذلك ذكره لكلمتي زبرجد وعقيق الذي يستخدمهما في صناعة فصوص ما يصنعه من خواتم.

وقد يستخدم الحداد غير هذه العناصر في صنعته، ولكن ذكر ما يفخر باستخدامه، ومن ثم لا عجب في إكثاره من ذكر الذهب والفضة.

---

[١٨٠] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: زبرجد.

[١٨١] ظافر، ديوانه، ص ١١.

[١٨٢] انظر: الزبيدي: تاج العروس، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة عقق.

[١٨٣] ظافر، ديوانه، ص ٩١.

المبحث الثالث: الألفاظ المتعلقة بالمصنوعات

وإذا انتقلنا إلى مجموعة ثالثة من الكلمات المتعلقة بالمهنة، وهي الكلمات الخاصة بما يصنعه الحداد من أشياء، وجدناه يذكر ما يصنعه من أدوات الحرب وهي: الدرع – الرمح (الوشيج– القنا)– السهم – السيف .

وذكر بعض المصنوعات الأخرى وهي: (الإبرة – الخاتم – السكين – المسمار – الفانوس– القنديل – الناقوس.

أولا: أدوات الحرب

الدرع (الزرد):

دِرْعُ الحَدِيدِ، بالكَسْرِ: الزَّرَدِيَّةُ، تُؤَنَّثُ، كَمَا فِي الصّحاحِ. قَالَ: وحَكَى أَبو عُبَيْدَةَ أَنَّ الدِّرْعَ قَدْ تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ، وتجمع فِي القَلِيلِ: أَدْرُعٌ، وأَدْرَاعٌ. وفِي الكَثِيرِ: دُرُوعٌ.(١٨٤)

و(الدرْع) الزردية وَهِي قَمِيص من حلقات من الْحَدِيد متشابكة يلبس وقاية من السِّلَاح (يذكر وَيُؤَنث) وقميص الْمَرْأَة وثوب صَغِير تلبسه الْجَارِيَة فِي الْبَيْت (مذكران وَقد يؤنثان) (ج) أَدْرَاع وأدرع ودروع(١٨٥)

وقد وردت كلمة الدرع بصيغة المفرد في قوله:

ترى منه تحت الريح درعا وجوشـــنا وسيفا بلا غمد إذا كان راكـــدا(١٨٦)

ووردت بصيغة الجمع في قوله

وتكســـوه الربـــاح دروع حـــرب ولا طعن هنـــاك ولا ضـــراب(١٨٧)

وقوله:

ويُعِلُّنـــــي ذاك الخلـــيج بشـــربة سيما إذا انتسجت دروع حبابـــه(١٨٨)

ووردت كلمة الزرد في قوله:

وينسج فوق الماء فيـــه نســـيمها حبيكا حكى مستحكم الزرد السرد(١٨٩)

---

(١٨٤) انظر: الزبيدي: تاج العروس: مادة درع.

(١٨٥) انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة درع.

(١٨٦) ظافر، ديوانه، ص ٩٤.

(١٨٧) ظافر، ديوانه، ص ٢٣.

(١٨٨) ظافر، ديوانه، ص ٢٣.

(١٨٩) ظافر، ديوانه، ص ٩٨.

و(الزَّرْدُ) كَالسَّرْدِ وَزْنًا وَمَعْنًى وَهُوَ تَدَاخُلُ حِلَقِ الدِّرْعِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ. وَ (الزَّرَدُ) بِفَتْحَتَيْنِ الدِّرْعُ الْمَزْرُودَةُ. وَ (الزَّرَّادُ) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ صَانِعُهَا(١٩٠).

الرمح (الوشيج – القنا):

(الرُّمْحُ) من السِّلَاح، وهو قناة فِي رَأسهَا سِنَان يطعن بِهِ، وَهُوَ بالضّمّ، ويجمع على رِماحٌ وأَرْماحٌ.

وَ(رَمَحَهُ) طَعَنَهُ بِالرُّمْحِ مِنْ بَابِ قَطَعَ. وَرَجُلٌ (رَامِحٌ) ذُو رُمْحٍ وَلَا فِعْلَ لَهُ كَلَابِنٍ وَتَامِرٍ.

وَ(الرَّمَّاحُ) بِالْفَتْحِ وَالتَّشْدِيدِ الَّذِي يَتَّخِذُ الرِّمَاحَ، وَصَنْعَتُهُ (الرِّمَاحَةُ) بِالْكَسْرِ(١٩١).

وقد وردت في قوله:

فالرمح يهتز تيها حين يركزه ويزدهي الطرف عجبا حين يركبه (١٩٢)

وقوله:

كالرمح قدا غير أن سنانه لحظ له قلب الكمي طعين(١٩٣)

وعبر عنها بكلمة الخط في قوله:

وإلا فلم تنمي المذاكي وتنتمي شفار المواضي أو لما يركز الخط (١٩٤)

وعبر عنها أيضا بكلمة الوشيج في قوله:

وخطت على لباتها البيض أسطرا يكون بأطراف الوشيج لها نقط(١٩٥)

وذكرها بكلمة (القنا)، والْقَنَاة: الرمْح الأجوف وتجمع على قنوات وقِنَاءٍ وَاسم الْجِنْس الجمعي قِنَا(١٩٦) . وذلك في قوله:

تهزه أريحيات الندى كرما هز الفوارس أطراف القنا السلب(١٩٧)

وقوله:

فضم متون اللج منتظم القنا كما يتراءى شبههم في إهابه(١٩٨)

---

(١٩٠) انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة زرد

(١٩١) انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة رمح، الزبيدي تاج العروس، مادة رمح. ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة رمح.

(١٩٢) ظافر، ديوانه، ص ٦٧.

(١٩٣) ظافر، ديوانه، ص ٣٢٠.

(١٩٤) ظافر، ديوانه، ص ٣٤٢.

(١٩٥) ظافر، ديوانه، ص ٣٤٢.

(١٩٦) انظر: الرازي: مختار الصحاح، الزبيدي تاج العروس، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة قنو.

(١٩٧) ظافر، ديوانه، ص ٢١.

وقوله:

إني لأطرب سمعا لـــيس يطربـــه إلا صليل القنا في مهجـــة البطـــل[١٩٩]

السهم:

والسهم عود من الْخشب يسوى فِي طرفه نصل يرْمى بِهِ عَن الْقوس وَخط على شكل سهم الْقوس، والجَمْعُ أَسْهُم وسِهامٌ[٢٠٠].

وقد وردت بصيغة الجمع (السهام) في قوله:

فمـــا للرمـــاح علـــى طولهـــا مع البعد مثـــل قصـــير الســـهام [٢٠١]

ووردت بصيغة الجمع (الأسهم) في قوله:

كأن فؤادي بيـــنهم تحـــت أســـهم تشمر عند الرمي منها الحدائـــدا [٢٠٢]

السيف:

(السَّيْفُ) جَمْعُهُ (أَسْيَافٌ) وَ (سُيُوفٌ) وَرَجُلٌ (سَائِفٌ) أَيْ ذُو سَيْفٍ وَ(سَيَّافٌ) أَيْ صَاحِبُ سَيْفٍ. وَ(الْمُسَايَفَةُ) الْمُجَالَدَةُ وَ (تَسَايَفُوا) تَضَارَبُوا بِالسَّيْفِ[٢٠٣].

وقد تكررت الكلمة في شعر ظافر كثيرا ، وذلك في الأبيات الآتية:

وصـــفا وراق وعـــاد مَـــدٌّ زلالـــه كالسيف جُـــرِّد مـــن خـــلال قرابـــه[٢٠٤]

حتـــى تجـــرد ســـيفه أســـيافها بجـــداول جـــدلن فـــي أعشـــابه[٢٠٥]

وســـيف خليجهـــا كالســـيف حـــدا وفي أرج الريـــاح لـــه اضـــطراب[٢٠٦]

واسفك دما في طلى الأعداء منتظرا فلو أشـــارت لـــه أســـيافك انســـكبا[٢٠٧]

لم يعدم الملك نصرا من ســـيوفكما فيما نأى من قـــديم الـــدهر أو قربـــا[٢٠٨]

---

[١٩٨] ظافر، ديوانه، ص ٥٠.

[١٩٩] ظافر، ديوانه، ص ٢٤٦.

[٢٠٠] انظر: الرازي: مختار الصحاح، الزبيدي تاج العروس، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة سهم.

[٢٠١] ظافر، ديوانه، ص ٢٩٧.

[٢٠٢] ظافر، ديوانه، ص ٩٤.

[٢٠٣] انظر: الرازي: مختار الصحاح، مادة سيف.

[٢٠٤] ظافر، ديوانه، ص ٢٣.

[٢٠٥] ظافر، ديوانه، ص ٢٣.

[٢٠٦] ظافر، ديوانه، ص ٢٦.

[٢٠٧] ظافر، ديوانه، ص ٣٦.

[٢٠٨] ظافر، ديوانه، ص ٣٦.

له سيف نصر كلما هز نصله تتبع ناب الموت أمر ذبابه[٢٠٩]

له بالسيف والقلم افتخار تعاظم في الكتيبة والكتاب [٢١٠]

كأنما النهر فيه سيف مرتعش يرومه بين مقبوض ومطرح [٢١١]

له قلم يستخدم السيف والقنا وتغني وتفني قطرة من لعابه[٢١٢]

فما أنا إلا السيف فارق غمده ولم يلف بعد الضرب والقطع غامدا[٢١٣]

ترى منه تحت الريح درعا وجوشنا وسيفا بلا غمد إذا كان راكدا[٢١٤]

أذمت على أقطار مصر سيوفه بضرب يقر المتقي وهو وادع [٢١٥]

وذكرك قبل اللحظ واللفظ مهلك فقتلك للأعداء بالسيف راتع [٢١٦]

وما الموت إلا تابع ما أمرته على انه من حر سيفك جازع [٢١٧]

فإنك سيف الله أي ضريبة أشار إليها قدها منك قاطع [٢١٨]

تحكمت فيما شئت حتى كأنما لسيفك أرواح الملوك ودائع [٢١٩]

على أن لي عذرا إذا ما سللته فلى منه سيف باتر الحد قاطع [٢٢٠]

وسيف إذا جردت بعض غراره لجيش خطوب صدها منه إرهاق [٢٢١]

القائد السيد الندب الذي خلقت لراحتيه اللهى والسيف والقلم [٢٢٢]

---

[٢٠٩] ظافر، ديوانه، ص ٥٠.

[٢١٠] ظافر، ديوانه، ص ٥٩.

[٢١١] ظافر، ديوانه، ص ٨١.

[٢١٢] ظافر، ديوانه، ص ٥١.

[٢١٣] ظافر، ديوانه، ص ٩٤.

[٢١٤] ظافر، ديوانه، ص ٩٤.

[٢١٥] ظافر، ديوانه، ص ١٩١.

[٢١٦] ظافر، ديوانه، ص ١٩٢.

[٢١٧] ظافر، ديوانه، ص ١٩٢.

[٢١٨] ظافر، ديوانه، ص ١٩٣.

[٢١٩] ظافر، ديوانه، ص ١٩٠.

[٢٢٠] ظافر، ديوانه، ص ١٩٨.

[٢٢١] ظافر، ديوانه، ص ٢٢٧.

[٢٢٢] ظافر، ديوانه، ص ٢٨٧.

في جرأة السيف من إقدامه شبه وفي ندى الغيث من إعطائه شيم [٢٢٣]
كالسيف يخترم النفوس غراره ورواه يعجب ناظر الإنسان [٢٢٤]
كالسيف والرمح حين يخفى فعلهما في يد الجبان[٢٢٥]
لولا سيوفك ما استقر لنا به صوم ولا نسك ولا قرآن[٢٢٦]
للسيف والقلم افتخار كلما لمستهما لك راحة وبنان[٢٢٧]
وأنك سيفها العضب المحلى تزان بحسنه وبه تصان[٢٢٨]
للسيف والقلم النحيف بكفه فعل يكون به منى ومنون [٢٢٩]
فرأيت سيف الجفن ليس بمغمد من تحت أدمعها ولا مسلولا [٢٣٠]
لم يرض أن ملك العلياء أجمعها حتى بنى باللهى والسيف والقلم [٢٣١]

وعبر عن السيف بكلمة شفار المواضي:

والشَّفْرَةُ، بِفَتْح فَسُكُون، وَهُوَ الَّذِي صَرَّحَ بِهِ غيرُ واحدٍ من الأَئمّة، ولَا يُعْرَف غيرُه، قَالَ شيخُنَا إِلاَّ مَا ذَكَرَه صاحبَ المُغْرِب فإنه قَالَ: الشفْرَةُ، بالفَتْح وَالْكَسْر: (السِّكِّينُ العَظِيمُ، وَمَا عُرِّضَ من الحَدِيدِ وحُدِّدَ، ج شِفَارٌ) بالكَسْر. وشِفْرُ، بِكَسْر فَسُكُون.

والشَّفْرَةُ (جانبُ النَّصْلِ)، وَقَالَ أَبو حنيفَة: شَفْرَتَا النَّصْلِ: جانِبَاهُ، وسَمَّى صاحِبُ المُغْرِبِ النَّصْلَ العَرِيضَ: شَفْرَةً.

والشَّفْرَةُ: (حَدُّ السَّيْفِ)، وَقيل: شَفَرَاتُ السُّيُوفِ: حُرُوف حَدِّهَا، قَالَ الكُمَيْتُ يَصِفُ السُّيوفَ[٢٣٢]:

---

[٢٢٣] ظافر، ديوانه، ص ٢٨٨.
[٢٢٤] ظافر، ديوانه، ص ٣٠٣.
[٢٢٥] ظافر، ديوانه، ص ٣٠٥.
[٢٢٦] ظافر، ديوانه، ص ٣٠٥.
[٢٢٧] ظافر، ديوانه، ص ٣٠٧.
[٢٢٨] ظافر، ديوانه، ص ٣٠٩.
[٢٢٩] ظافر، ديوانه، ص ٣٢١.
[٢٣٠] ظافر، ديوانه، ص ٢٦٦.
[٢٣١] ظافر، ديوانه، ص ٢٧٧.
[٢٣٢] انظر: الزبيدي تاج العروس، مادة شفر.

الشَّفْرَة: مَا عرض وحدد من الْحَدِيد كَحَد السَّيْف والسكين وإزميل الإسكاف ومُوسَى صَغِيرَة من غير نِصَاب ذَات حد أَو حَدَّيْنِ تمسكها أَدَاة خَاصَّة يحلق بهَا الذقن(٢٣٣)

وذلك في قوله:

وإلا فلم تنمي المــذاكي وتنتمــي شفار المواضي أو لما يركز الخــط(٢٣٤)

ووصفها بكلمة البيض في قوله:

وخطت على لباتها البيض أسطرا يكون بأطراف الوشيج لها نقط (٢٣٥)

وإذا نظرنا إلى المفردات الدالة على أدوات الحرب التي وردت في شعر ظافر وجدنا أنها تكررت كثيرا مما يعكس اعتزازه بأنه صانع هذه الأدوات التي تستخدم في الحروب، فإذا كان الأبطال الشجعان يفخرون بمهاراتهم في القتال واستخدام السلاح، فلم يفته أن يفتخر هو بصنعته لها، فكلمة السيف تكرت أكثر من عشرين مرة قريبا من عدد مرات استخدامه لكلمة النار، بل إنه وصف نفسه بالسيف في أحد المواضع إذ يقول:

فما أنا إلا الســيف فــارق غمــده ولم يلف بعد الضرب والقطع غامدا(٢٣٦)

ثانيا: المصنوعات الأخرى

وهي: الإبرة – الخاتم – السكين – المسمار – الفانوس – القنديل –- الناقوس.

الإبر (الإبرة):

الإبرة: أَدَاة أحد طرفيها محدد وَالْآخر مثقوب يخاط بهَا، وتجمع على إبر (٢٣٧).

وقد وردت في قوله:

يــدلي لــه الصــياد خيطانــه والطعم فيها فوق عقف الإبر (٢٣٨)

والأعقف: المنحنى المعوج يُقَال عود أعقف وظبي أعقف الْقُرُون (ج) عقف(٢٣٩).

---

(٢٣٣) انظر: مجمع اللغة العربية، مادة شفر

(٢٣٤) ظافر، ديوانه، ص ٣٤٢.

(٢٣٥) ظافر، ديوانه، ص ٣٤٢.

(٢٣٦) ظافر، ديوانه، ص ٩٤.

(٢٣٧) انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مادة أبر.

(٢٣٨) ظافر، ديوانه، ص ١٤١.

(٢٣٩) انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مادة عقف.

الخاتم:

الْخَاتَمُ بِفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرِهَا وَ(الْخَيْتَامُ) وَ(الْخَاتَامُ) كُلُّهُ بِمَعْنًى وَالْجَمْعُ (الْخَوَاتِيمُ)، وهو حلقة ذَات فص تلبس فِي الْأُصْبع وَ (تَخَتَّمَ) لَبِسَ الْخَاتَمَ[٢٤٠].

من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم[٢٤١]

السكين:

السِّكِّينُ، بكسْرٍ فتَشْديدٍ، وَهِي آلَة يذبح بهَا أَو يقطع (يذكر وَيُؤَنث) وجمعها سكاكين[٢٤٢].

وقد وردت بصيغة الجمع في قوله:

نصول السكاكين مصقولة وفي القلى تمويهها بالذهب[٢٤٣]

المسمار:

المسمار: مَا يصنع من حَدِيد ونَحْوه وَأحد طَرفَيْهِ سنّ وَالْآخر ذُو رَأس يدق فِي الْخشب وَغَيره للتثبيت وَيُقَال فلَان مِسْمَار الْإِبِل حسن الْقيام عَلَيْهَا ضَابِط لَهَا حاذق برعيتها، والجمع: مسامير[٢٤٤]. وقد وردت في قوله:

كشمسة من لجين في زبرجدة قد أشرقت تحت مسمار من الذهب[٢٤٥]

الفانوس:

الفانوس مشكاة مُسْتَقلَّة جوانبها من الزّجاج يوضع فِيهَا الْمِصْبَاح ليقيه الْهَوَاء أَو الْكسر وجمعها فوانيس[٢٤٦]

وقد وردت بصيغة الجمع في قوله:

فنفس الدن عن صهباء صافية عن القناديل أغنت والفوانيس [٢٤٧]

---

[٢٤٠] انظر: الرازي: مختار الصحاح، والزبيدي : تاج العروس، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مادة ختم.

[٢٤١] ظافر، ديوانه، ص ٢٩٩.

[٢٤٢] انظر: الرازي: مختار الصحاح، الزبيدي تاج العروس، ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة سكن.

[٢٤٣] ظافر، ديوانه، ص ٥.

[٢٤٤] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة سمر.

[٢٤٥] ظافر، ديوانه، ص ١١.

[٢٤٦] انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مادة فنس

[٢٤٧] ظافر، ديوانه، ص ٣٤٠.

القنديل:

الْقَنْدِيل: مِصْبَاح كالكوب فِي وَسطه فتيل يمْلأ بِالْمَاءِ وَالزَّيْت ويشعل، وجمعها قناديل(٢٤٨).

القنديل: المصباح والجمع قناديل، والكلمة لاتينية الأصل Candela ومعناها شمعة(٢٤٩). وقد يصنع من معدن أو زجاج.

وقد وردت بصيغة الجمع في قوله:

فنفس الدن عن صـــهباء صـــافية عن القناديل أغنت والفـــوانيس(٢٥٠)

الناقوس:

الناقوس: مضراب النَّصَارَى الَّذِي يضربونه إِيذَانًا بحلول وَقت الصَّلَاة، والجمع: نواقيس.

والناقوس في الأصل قطعة طويلة من خشب أو حديد كانوا يضربونها لدعوة النصارى إلى الكنائس، وقد استعملت هذه الكلمة بمعنى جرس والكلمة آرامية الأصل (ناقوشا) ومعناها جرس صغير، من الفعل Naqach بمعنى دق – قرع – صدم (٢٥١).

وللأذان سرور في مواطنه تبدي النواقيس منه الويل والحربا (٢٥٢)

وفي قوله:

قم نصطبح عند نقرات النواقيس واشرب على حسن ألحان الشماميس (٢٥٣)

بعد أن استعرضنا الألفاظ الدالة على مصنوعات الحديد، بدا واضحا كثرة ورود كلمة (السيف) في شعر ظافر الحداد كثرة ملحوظة، ولا عجب في ذلك، فالسيف على مر العصور رمز القوة والشجاعة، وهو أداة أساسية في الحروب، وارتبط السيف ارتباطا وثيقا، فكانوا يعتزون به ويفتخرون كل الفخر بسيوفهم، وتغنوا بها وجملوها، وأطلقوا عليها الأسماء الكثيرة لإعجابهم بها، وصنفوا السيوف وتفننوا في صناعتها فكانوا يصنعونها من الذهب ومن الفضة

---

(٢٤٨) انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مادة قندل

(٢٤٩) انظر: د. فتح الله سليمان، معجم الدخيل في العربية، ص ٢٨٨.

(٢٥٠) ظافر، ديوانه، ص ٣٤٠.

(٢٥١) انظر: د. فتح الله سليمان، معجم الدخيل في العربية، ص ٣٤٣.

(٢٥٢) ظافر، ديوانه، ص ٣٦.

(٢٥٣) ظافر، ديوانه، ص ٣٣٨.

ومن الحديد، ويصقلونها ويضعون عليها الحلي، فكانت رمزا للفخر والعزة، لأنها باعتقادهم هي التي تحميهم وتجبر العدو على الخوف منهم.

وشاعرنا يرى في نفسه من خلال مهنته، أنه شريك أصيل في وجود السيف رمز العزة والقوة، فإذا كان المحاربون يحملون سيوفهم ليحاربوا أعداءهم بها، فهو صانع هذه السيوف وموجدها، وحق له أن يفخر بها، كما يفخر القادة الشجعان بها.

ومن هنا يمكننا فهم نفسية الشاعر عندما وصف نفسه بالسيف في إحدى المواضع بقوله:

فما أنا إلا السيف فارق غمده ولم يلف بعد الضرب والقطع غامدا[٢٥٤]

وكما ذكر الشاعر السيف في شعره لافتخاره بصنعته، فقد ذكر الدرع (الدروع)، والرمح (الرماح)، والسهم (السهام)، فهي أيضا من أدوات الحرب، ومحل لفخر من يستخدمها، فلم لا يكون الفخر أيضا من حق من يصنعها.

ولم يفت الشاعر أن يضمن شعره بعض ما تصنعه يداه في مهنته من أشياء أخرى، ذكر الشاعر بعضا منها في شعره، مثل: الخاتم – الفانوس – الناقوس – المسمار– السكين – الإبرة.

ومما يؤكد على اعتزاز الشاعر بما تصنعه أنه كتب على كرسي من الحديد أتم صنعه بيتين من نظمه[٢٥٥] يقول فيهما:

نزه لحاظك في غريب بدائعي وعجيب تشبيهي وحكمة صانعي

فكأنما كفا محب شبكت يوم الفراق أصابعا بأصابع[٢٥٦]

إنها صورة بديعية صنعها الشاعر واستوحى عناصرها من منظر الكرسي بعد أن أتم صنعته، وقدرته الفائقة على تطويع الحديد في يديه ليشكل منه ما يريد، وكأن شبكة الحديد التي صنعها في جوانب الكرسي وظهره، مثل أيادي المحبين عندما تتشابك، والحق أن الشاعر كانت تستهويه أدوات صناعته ومصنوعاته، فيجد فيها المجال الخصيب لشاعريته المتفتحة تطوف بها، وتستخرج منها كثيرا من الصور الأخاذة التي كان قد كلف بإبرازها[٢٥٧].

---

[٢٥٤] ظافر، ديوانه، ص ٩٤.

[٢٥٥] انظر: مع الشعراء أصحاب الحرف، عبد العليم القباني، ص ١٦

[٢٥٦] ظافر، ديوانه، ص ١٩٥.

[٢٥٧] انظر: عبد العليم القباني: مع الشعراء أصحاب الحرف، ص ١٧.

خاتمة البحث:

هذا البحث يمثل أمرا مهما في الدراسات اللغوية، وهو الربط بين اللغة والمجتمع، وقد لاحظ ابن جني ذلك في القرن الرابع الهجري في تعريفه الموجز للغة الذي اشتمل على كل العناصر اللازمة في قوله: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، فراعى الجانب الصوتي والوظيفي والاجتماعي، وقد كان للجانب الاجتماعي أثره في شعر ظافر الحداد في تراكيبه الخاصة وتشبيهاته وأصوات مفرداته بل ووقع الكلمات من حيث النبر والتنغيم إذ للحدادة أثر في لغته مما يؤكد أثر المهنة في اللغة، فالظروف لاجتماعية على اختلاف الأفراد والحرف والعصور تترك بصمة في اللغة تمثل صاحبها وهذه الواقعية تدل على صدق الشاعر في شاعريته، فمفردات المهنة وأدواتها ظاهرة في شعره، وكذا العناصر المستخدمة في الحدادة ومصنوعاتها، ونلاحظ مجيء الأصوات الشديدة وكذا أصوات الإطباق والاستعلاء كالصاد والطاء وحرف الراء بما فيه من تكرار يشبه طرق الحداد كما في التنور والمسجور والجمر، وقلقلة الدال المناسبة لحركات ما يصنع ويدق كما في الحديد والزبرجد وغيرها.

وقد وردت كثير من الألفاظ التي تتعلق بالمهنة – والألفاظ هي الجانب الذي اعتني به البحث– في شعر ظافر، سواء ما يتعلق منها بالنار التي تمثل هي والحديد قوام صناعته، وقد أفردت لها مبحثا خاصة لكثرة الألفاظ المتعلقة بها، إذ بلغت هذه المفردات (١٦) كلمة، وهي: التنور – الجمرة (الجمر) – أحر – الحرق – الحطب – الدخان – الرماد – المسجور – الشرار – الفحم – القار – الكانون – اللهب (اللهيب – الملتهب– متلهب) – النفط – النار (قلل النار) – وقود (توقد – الموقد –الوقاد – مستوقد). أو الألفاظ المتعلقة بأدوات مهنته وعناصر صناعته، وعددها (٨) كلمات، وهي: المبرد، المدوس، الحديد– الذهب (الإبريز – الشذر) –الزبرجد– السبك – عقيق – الفضة (اللجين). أو الألفاظ المتعلقة بالمشغولات التي يصنعها، وعددها (١١) كلمة، وهي: الدرع – الرمح (الوشيج– القنا)– السهم – السيف – الإبرة – الخاتم – السكين – المسمار – الفانوس – القنديل – الناقوس.

وقد ترد بعض هذه الكلمات عند شعراء آخرين، ولكن لا يمكن بحال أن تجتمع مفردات هذه الحقول الدلالية الثلاثة في شعر شاعر إلا إذا كان حدادا، مما يعكس تأثر لغة شاعرنا بمهنته، "فاللغة (أية لغة على وجه الأرض) مرآة عاكسة لكل مناحي النشاط الإنساني في مجتمعها، أو قل بعبارة أوجز وأدق تعبيرا– اللغة هي الإنسان نفسه. وقد قيل: "إذا فتحت فاك عرفناك" أي أدركنا وضعك في مجتمعك وموقعك في بيئتك فكريا وثقافيا واجتماعيا، واستطعنا

أن ننسبك إلى قبيل من الناس دون قبيل آخر"[٢٥٨] قد مثلت المهنة بمفرداتها الخاصة بها مكونا أساسيا في ثقافة ظافر ولغته، فكشفت عنه، ومن ثم كان شعر ظافر ممثلا بدقة لبيئته المهنية اللغوية وشاهدا على تأثير البيئة المهنية في الاستعمال اللغوي، فاستعمالنا للغة في أساسه صورة من صور العمل الاجتماعي ووسيلة من وسائله، فاللغة تعيش في مجتمع وترتبط به فهو صاحبها وهي وسيلته في الحياة: في التخاطب والتفاهم وفي التعامل وتبادل المنافع.

وقد خلص البحث إلى بعض النتائج أهمها:

- أن اللغة كاشفة عن صاحبها، وعن مهنته.
- أن ألفاظ المهنة كما توجد في لغة الحياة اليومية لصاحبها، توجد أيضا في لغته العالية إن كان من أهل الأدب، لأنها صارت جزءا من قاموسه القريب.
- وجود عدد من الألفاظ التي تتعلق بمهنة الحدادة في شعر ظافر، سواء أكانت ألفاظا تتعلق بالنار قوام صنعة الحديد، أم العناصر والأدوات المستخدمة في مهنته، أم ما تصنعه يداه من أدوات الحروب، وأشياء أخرى.

ومن ثم يوصي البحث بما يلي:

- ضرورة دراسة مشكلات الاتصال اللغوي التي قد تنجم عن وجود مفردات خاصة في لغة المتحدث ولا يفهمها المستمع.
- أهمية دراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة.
- أهمية دراسة العلائق بين اللغة والمجتمع.
- أهمية صناعة المعاجم الخاصة بالمهن.

---

[٢٥٨] د. كمال بشر: اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب، القاهرة١٩٩٩م، ص ٣١.

المصادر والمراجع:

١) تغريد نبيل عبد الغني: الشعراء الحرفيون في القرنين السادس والسابع الهجريين، دراسة في المضمون والتشكيل الفني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠٢٠م.

٢) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٣) الحافظ السلفي: معجم السفر، مخطوط في مجلدين في مكتبة محافظة الإسكندرية تحت رقم ٣٩٢٩ت وهو مصور عن دار الكتب.

٤) د. حسين نصار، ظافر الحداد شاعر من العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

٥) ابن خلكان "شمس الدين أحمد بن إبراهيم": وفيات الأعيان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبع النهضة المصرية، ١٩٤٨م، ج٢.

٦) الرازي؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، الطبعة الثالثة لوزارة المعارف، مصر ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م.

٧) د. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٨) رياض بن صالح الذيب: الفكر اللساني الاجتماعي عند الجاحظ، إصدارات مركز حمد الجاسر الثقافي، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٩) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت (٤٠ جزءا).

١٠) د. شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات (مصر)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

١١) د. طه الحاجري، ظافر الحداد، مقال نشرته مجلة (أمواج سكندرية)، العدد الأول، ١٩٧٦م.

١٢) ظافر الحداد، ديوانه، تحقيق د/ حسين نصار، مكتبة مصر، ١٩٦٩م.

١٣) عبد العليم القباني: مع الشعراء أصحاب الحرف، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧.

١٤) د. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة التاسعة، د.ت.

١٥) د. علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة للكتاب، والأولى للناشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦) العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، نشر وتحقيق: أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

١٧) د. فتح الله أحمد سليمان: معجم الدخيل في العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م

١٨) د. كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي (مدخل)، دار غريب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

١٩) د. كمال بشر: اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب، القاهرة١٩٩٩م.

٢٠) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط.

٢١) د. محمود السعران: اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، دار المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م.

٢٢) د. منى عبد الظاهر محمد سيد الشامي، المستويات المهنية وأثرها في الاستعمالات اللغوية في ضوء علم اللغة الاجتماعي، دراسة تطبيقية على أشعار حافظ- ناجي- شوشة، العدد الثاني والعشرون- ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، جامعة الأزهر – حولية كلية اللغة العربية بجرجا.

٢٣) د. نوري جعفر: اللغة والفكر، نشر وتوزيع مكتبة التومي، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

٢٤) هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمد عياد، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

٢٥) ورنس سعود الرشيدي: شعر يوسف بن إسماعيل الشواء، دراسة موضوعية وفنية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١١م.